التوحيد 02

أولا: توحيد الألوهية

1- تعريف توحيد الألوهية وأسماؤه:

أ- تعريفه:

- التوحيد لغة: الحكم بأن الشيء واحد، والعلم بأنه واحد[1] ، وشرعا: إفرادُ اللهِ سُبحانَه بما يختصُّ به من الرُّبوبيَّةِ والألوهيَّةِ والأسماءِ والصِّفاتِ[2] .
- الألوهية لغة: "والإلاهَةُ والأُلوهة والأُلوهِيَّةُ الْعِبَادَةُ"[3]

فتوحيد الألوهية: هو إفراد الله عزوجل بالعبادة[4] .

ب - أسماؤه:

- توحيد العبادة:

قال ابنُ عثيمين رحمه الله: "توحيدُ الأُلوهيَّةِ: ويُقالُ له: توحيدُ العِبادةِ باعتبارَينِ: فباعتبارِ إضافتِه إلى اللهِ يُسَمَّى توحيدَ الأُلوهيَّةِ، وباعتبارِ إضافتِه إلى الخَلْقِ يُسَمَّى توحيدَ العِبادةِ، وهو إفراد الله عزَّ وجَلَّ بالعِبادةِ، فالمستحِقُّ للعِبادةِ هو اللهُ تعالى؛ قال تعالى :ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ"[5] .

- توحيد القصد والطلب:

---

(1) التعريفات للجرجاني (69/1).
(2) ينظر القول المفيد لابن عثيمين (11/1).
(3) لسان العرب (468/13).
(4) ينظر تطهير الاعتقاد للصنعاني (53/1).
(5) القول المفيد (14/1).

وسمِّيَ بتوحيدِ الطَّلَبِ والقَصدِ؛ لأنَّ العَبدَ يتوجَّهُ بقَلْبِه ولِسانِه وجوارِحِه بالعبادةِ للهِ وَحْدَه، ويَقصِدُ بذلك وَجْهَه، وابتِغاءَ مَرْضاتِ، قال حافظ حكمي:" فَإِنَّ تَوْحِيدَ الْإِثْبَاتِ هُوَ أَعْظَمُ حُجَّةٍ عَلَى تَوْحِيدِ الطَّلَبِ وَالْقَصْدِ الَّذِي هُوَ تَوْحِيدُ الْإِلَهِيَّةِ" [6]

- التوحيد العملي:

وسمِّيَ بالعَمَليّ؛ لأنَّه يشمَلُ كُلًّا من عَمَلِ القَلبِ، وعَمَلِ اللِّسانِ، وعَمَلِ الجوارحِ؛ التي تُشكِّل بمجموعِها جانبَ العَمَلِ من التَّوحيدِ، قال ابن تيمية: "فَالتَّوْحِيدُ الْقَوْلِيُّ مِثْلُ سُورَةِ الْإِخْلَاصِ {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} وَالتَّوْحِيدُ الْعَمَلِيُّ {قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ}"[7]

2ـ علاقة توحيد الألوهية بالشهادتين:

أ ـ علاقته بشهادة أن لا إله إلا الله:

توحيد الألوهية هو تحقيق معنى شهادة أن لا إله إلا الله، فإن معنى لا إله إلا الله هو: لا معبود بحق إلا الله ـ كما سيأتي ـ ، ومن لم يفرد الله بالعبادة لم يحقق شهادة أن لا إله إلا الله.

قال ابن تيمية رحمه الله:" أصلُ الإسلامِ: أشهَدُ أنْ لا إلهَ إلَّا اللهُ وأنَّ مُحمَّدًا رَسولُ اللهِ، فمن طلَبَ بعباداتِه الرِّياءَ والسُّمعةَ فلم يحقِّقْ شَهادةَ أنْ لا إلهَ إلَّا اللهُ، ومَن خرَجَ عمَّا أمَرَه به الرَّسولُ مِن الشَّريعةِ، وتعَبَّد بالبِدْعةِ فلم يحَقِّقْ شَهادةَ أنَّ مُحمَّدًا رَسولُ اللهِ، وإنَّما يُحَقِّقُ هذينِ الأصلَينِ مَن لم يَعبُدْ إلَّا اللهَ، ولم يخرُجْ عن شريعةِ رَسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم التي بلَّغَها عن اللهِ"[8]

ب ـ علاقته بشهادة أن محمدا رسول الله ﷺ:

فالألوهية ـ وهي العبادة ـ لا تقبل إلا إذا تضمنت متابعة النبي ﷺ، وهذا من شروط العبادة ـ كما سيأتي ـ ، قال ابن باز رحمه الله: "الأعمالُ لا تُقبَلُ إلَّا بالأمرَينِ: الإخلاصُ لله، والمتابَعةُ لرَسولِه ﷺ"[9]

([6]) انظر معارج القبول (97/1).
([7]) مجموع الفتاوى (367/1).
([8]) نفس المصدر (617/11).
([9]) مجموع فتاوى ابن باز (186/28).

كذلك من لم يفرد الله بالعبادة لم يحقق شهادة أن محمدا رسول الله، فما بعث محمد ﷺ إلا للدعوة إلى توحيد الألوهية، قال الله تعالى: " وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ"، قال ابنُ باز: "المقصودُ أنَّ رَسولَنا ونبيَّنا محمَّدًا عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ دعا إلى ما دَعَت إليه الرُّسُلُ قَبْلَه مِن نوحٍ ومَن بَعْدَه، إلى توحيدِ اللهِ والإخلاصِ له، وتَرْكِ عِبادةِ ما سِواه، هذه أوَّلُ دَعوتِه، وهذه زُبدَتُها، وهي أهَمُّ واجِبٍ وأوَّلُ واجِبٍ، وأعظَمُ واجِبٍ"[10]

3- لوازم الإيمان بتوحيد الألوهية:

يلزم من توحيد الألوهية لوازم هي كالأركان والأسس له، فمن خالفها وقع في شرك الألوهية:

أ ـ الاعتقاد بالقلب انفراد الله عزوجل بالألوهية، وأنه لا يستحق العبادة غيره سبحانه، ويلزم من ذلك الكفر بكل مايعبد من دون الله واعتقاد بطلانه، قال النبي ﷺ: " مَنْ قال لَا إلهَ إلَّا اللهُ ، وكفَرَ بما يعبُدونَ مِنَ دونِ اللهِ ، حرُمَ مَالُهُ ، ودَمُهُ ، وحسابُهُ على اللهِ"[11] ، قال ابن باز رحمه الله: " هذا هو التوحيد أن تعبد وحده تخصه بالعبادة وأن تكفر بعبادة غيره يعني أن تنكرها وتعتقد بطلانها"[12]

ب ـ إفراد الله بالعبادة والإخلاص له فيها، قال السعدي: " كُلُّ اعتقادٍ أو قَولٍ أو عَمَلٍ ثبت أنَّه مأمورٌ به من الشَّارعِ، فصَرْفُه لله وَحْدَه توحيدٌ وإيمانٌ وإخلاصٌ، وصَرْفُه لغيرِه شِركٌ وكُفرٌ"[13]

ج ـ إفراد الله بالحكم والطاعة مع انشراح صدر: قال تعالى: " إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ"، قال الشنقيطي: " دَلَّ القُرآنُ في آياتٍ كثيرةٍ على أنهَّ لا حُكمَ لغيرِ اللهِ، وأنَّ اتِّباعَ تشريعِ غَيْرِه كُفرٌ به"[14] ، وقال أيضا: " اعلَمُوا -أيُّها الإخوانُ- أنَّ الإشراكَ باللهِ في حُكْمِه والإشراكَ به في عبادتِه كِلاهما بمعنًى واحدٍ"[15]

4 ـ الأدلة على توحيد الألوهية :

أـ الأمر المباشر بإفراد الله بالعبادة:

([10]) مجموع فتاوى ابن باز (64/2).
([11]) رواه مسلم (23).
([12]) شرح كتاب التوحيد، باب تفسير التوحيد ...، من موقعه الرسمي.
([13]) القول السديد شرح كتاب التوحيد (54/1).
([14]) أضواء البيان (48/7).
([15]) العذب النمير (441/5).

قال تعالى: " واعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا"، قال ابن كثير: " يأمر تبارك وتعالى بعبادته وحده لا شريك له; فإنه هو الخالق الرازق المنعم المتفضل على خلقه في جميع الآنات والحالات، فهو المستحق منهم أن يوحدوه، ولا يشركوا به شيئا من مخلوقات"[16]

ب ـ الإخبار أنه خلق الخلق لعبادته:

قال تعالى: " وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ"، قال ابن عثيمين رحمه الله: " الله سُبحانَه وتعالى خَلَق الجِنَّ والإنسَ لحِكمةٍ عَظيمةٍ وغايةٍ حَميدةٍ، وهي عبادتُه تبارك وتعالى"[17]

ج ـ الإخبار أن الغاية من إرسال الرسل هي الدعوة إلى إفراده بالعبادة:

قال تعالى: " وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ"، قال ابن باز رحمه الله: " إنَّ اللهَ جَلَّ وعلا خلَقَ الخَلْقَ لِيَعبُدوه، وأرْسلَ الرُّسُلَ وأنزَلَ الكُتُبَ لهذه الحِكمةِ العَظيمةِ؛ لدَعوةِ النَّاسِ إلى عِبادةِ اللهِ، وبَيانِها لهم، وإيضاحِها لهم"[18]

د ـ إلزامُ المُشرِكينَ باعترافِهم بتوحيدِ الرُّبوبيَّةِ؛ ليُقِرُّوا بتوحيدِ الأُلوهيَّةِ الذي يُنكِرونَه:

قال ابنُ باز رحمه الله: "قد أوضَحَ أهْلُ العِلْمِ رَحِمَهم اللهُ أنَّ توحيدَ الرُّبوبيَّةِ يَستلزِمُ توحيدَ الأُلوهيَّةِ - وهو: إفرادُ اللهِ بالعِبادةِ- ويوجِبُ ذلك ويقتضيه؛ ولهذا احتَجَّ اللهُ عليهم بذلك"[19] ، ومن ذلك قوله تعالى: " يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاء بِنَاء وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ"

هـ ـ بَيانُ حالِ الآلِهةِ التي تُعبَدُ دُونَ اللهِ في الدُّنيا والآخِرةِ بصِفةٍ تُقَرِّرُ عَدَمَ استِحقاقِها للعِبادةِ:

قال تعالى: " وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا"، قال الشنقيطي: " ذكَرَ جَلَّ وعلا في هذه الآيةِ الكريمةِ أنَّ

([16]) تفسير ابن كثير.
([17]) مجموع فتاوى ابن عثيمين (87/1).
([18]) مجموع فتاوى ابن باز (246/23).
([19]) نفس المصدر (62/7).

الآلِهةَ التي يَعبُدُها المُشركونَ مِن دُونِه مُتَّصِفةٌ بسِتَّةِ أشياءَ، كُلُّ واحدٍ منها بُرهانٌ قاطِعٌ أنَّ عِبادتَها مع اللهِ لا وَجْهَ لها بحالٍ، بل هي ظُلْمٌ مُتناهٍ، وجَهلٌ عظيمٌ، وشِرْكٌ يُخَلَّدُ به صاحِبُه في نارِ جَهنَّمَ"[20]

و ـ تذكيرُ المُشرِكينَ بما يَكمُنُ في نُفوسِهم مِن التَّوحيدِ وقُبْحِ الشِّرْكِ، وأنَّه لا حُجَّةَ ولا بُرْهانَ لهم في شِرْكِهم:

فمن الأول قول الله تعالى: " قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِّنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ * قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ"، قال ابنُ تَيميَّةَ: "فهذا كُلُّه يُبَيِّنُ قُبحَ ما كانوا عليه قَبْلَ النَّهيِ، وقَبلَ إنكاره عليهم، فلولا أنَّ حُسْنَ التَّوحيدِ وعِبادةِ اللهِ تعالى وَحْدَه لا شَريكَ له، وقُبْحَ الشِّرْكِ: ثابِتٌ في نَفْسِ الأمرِ، مَعلومٌ بالعَقلِ، لم يُخاطِبْهم بهذا؛ إذ كانوا لم يفعلوا شيئًا يُذَمُّونَ عليه"[21]

ومن الثاني قوله سبحانه: "ألا إِنَّ لِلَّهِ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاء إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ"، وقال سبحانه: " وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ"، قال الشنقيطي: " وأعظَمُ الكافرينَ كُفرًا هو من يدعو مع اللهِ إلهًا آخَرَ لا بُرهانَ له به، ونَفْيُ الفلاحِ عنه يدُلُّ على هَلاكِه وأنَّه مِن أهلِ النَّارِ"[22]

ز ـ بيانُ أنَّ الحُكمَ للهِ وَحْدَه شَرعًا وجزاءً:

فمن الأول قوله تعالى: "إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ"

ومن الثاني قوله تعالى: " إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ"

ح ـ إجماعُ الكُتُبِ السَّماويَّةِ على استِحقاقِ اللهِ للعِبادةِ وَحْدَه:

([20]) أضواء البيان (6/9-11).
([21]) مجموع الفتاوى (11/681).
([22]) أضواء البيان (5/364).

قال اللهُ تعالى: "وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ"، وقال سبحانه: " وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ".

5ـ أهمية توحيد الألوهية وفضائله وثمراته ومكانته في دعوة الأنبياء:

- **أهميته ومكانته في دعوة الرسل:**

أـ هو أول وحقيقة دعوة الرسل عليهم الصلاة والسلام:

يقول الله عز وجل: "وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ"، قال قتادة: " إنَّما بَعَث اللهُ المرسَلينَ أن يُوَحِّدوا اللهَ وَحْدَه، ويُطاعَ أمْرُه، ويُجتَنَبَ سَخَطُه"[23]، وقال ابن أبي العز:" اعلَمْ أنَّ التَّوحيدَ أوَّلُ دَعوةِ الرُّسُلِ، وأوَّلُ مَنازِلِ الطَّريقِ، وأوَّلُ مَقامٍ يقومُ فيه السَّالِكُ إلى اللهِ عزَّ وجَلَّ"[24]

ب ـ هو الحكمة من خلق الإنس والجن:

قال اللهُ تعالى: " وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ" أي: لآمُرَهم بالعِبادةِ، وأُوجِبَها عليهم، فعَبَّرَ عن ذلك بثَمَرةِ الأمرِ ومُقتَضاه، قاله ابن عطية[25] ، وقال ابن تيمية :" التَّوحيدُ الذي هو أصلُ الإسلامِ، وهو دينُ اللهِ الذي بعَث به جميعَ رُسُلِه، وله خَلَقَ الخَلْقَ، وهو حَقُّه على عِبادِه: أن يَعبُدوه، ولا يُشرِكوا به شَيئًا"[26]

ج ـ أول أمر الله، وأول واجب على العبيد:

يقول الله عز وجل: "وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا"، قال ابن عثيمين رحمه الله: " أوَّلُ واجبٍ على الخَلقِ هو أوَّلُ ما يُدعى الخَلْقُ إليه، وقد بَيَّنَه النَّبيُّ ﷺ لمُعاذِ بنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللهُ عنه حين بعَثَه لليَمَنِ، فقال له: ((إنَّك تأتي قومًا أهلَ كِتابٍ، فلْيَكُنْ أوَّلَ ما تَدعُوهُم إليه شَهادةُ أنْ لا إلهَ إلَّا اللهُ، وأنَّ مُحمَّدًا رَسولُ اللهِ))، فهذا أوَّلُ واجِبٍ على العبادِ أن يوحِّدوا اللهَ عزَّ وجَلَّ، وأن

([23]) تفسير الطبري (164/14).
([24]) شرح الطحاوية (21/1-24).
([25]) تفسيره (216/3).
([26]) تفسير مقاتل بن سليمان (133/4).

يَشهَدوا لرَسولِه ﷺ بالرِّسالةِ. وبتوحيدِ اللهِ عزَّ وجَلَّ والشَّهادةِ لِرَسولِه صلَّى اللهُ عليه وسلَّم يتحَقَّقُ الإخلاصُ والمتابعةُ اللَّذانِ هما شَرْطٌ لِقَبولِ كُلِّ عِبادةٍ"[27]

د- تحقيقه سبب لدخول الجنة، وعدم ذلك سبب لدخول النار:

قال تعالى: " إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ"، وقال النبي ﷺ : " مَنْ لَقِيَ الله لا يُشْرِك به شَيئا دخل الجنَّة، ومن لَقِيَه يُشرك به شيئا دخَل النار"[28]

قال ابن باز رحمه الله: " من مات على التَّوحيدِ لا يُشرِكُ باللهِ شَيئًا فإنَّه من أهلِ الجنَّةِ وإن زنى وإن سرق، وهكذا لو فَعَل معاصيَ أخرى، كالعُقوقِ والرِّبَا وشَهادةِ الزُّورِ، ونحوِ ذلك؛ فإنَّ العاصيَ تحت مَشيئةِ اللهِ؛ إن شاء رَبُّنا غفر له، وإن شاء عَذَّبَه على قَدْرِ معاصيه إذا مات غيرَ تائبٍ، ولو دَخَل النَّارَ وعُذِّبَ فيها فإنَّه لا يخَلَّدُ، بل سوف يخرُجُ منها إلى الجنَّةِ بعد التَّطهيرِ والتَّمحيصِ"[29]

هـ - هو حق الله عزوجل:

عن مُعاذِ بنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللهُ عنه أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال له: **"هل تَدْري ما حَقُّ اللهِ على عِبادِه؟"** قلتُ: اللهُ ورَسولُه أعلَمُ، قال: **"حَقُّ اللهِ على عِبادِه أن يَعبُدوه ولا يُشرِكوا به شيئًا"**، ثم قال: **"هل تدري ما حقُّ العبادِ على اللهِ إذا فَعَلوه؟"** ،قلتُ: اللهُ ورَسولُه أعلَمُ، قال: **"حَقُّ العِبادِ على اللهِ ألَّا يُعَذِّبَهم"**[30]

و- أن الشرك هو أعظم الظلم:

قال تعالى: " يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ ۖ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ"، قال ابن مسعود رضي الله عنه: من أراد أن ينظر إلى وصية محمد صلى الله عليه وسلم التي عليها خاتمه فليقرأ قوله تعالى: "قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا "، إلى قوله: "وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ".

- **فضائله وثمراته:**

نذكر بعضا منها باختصار من كلام السعدي رحمه الله[31]:

([27]) مجموع فتاوى ابن عثيمين (84/1).
([28]) رواه مسلم (93).
([29]) فتاوى نور على الدرب (51/6).
([30]) أخرجه البخاري (5967) واللفظ له، ومسلم (30).
([31]) القول السديد شرح كتاب التوحيد (23/1).

ـ مغفرة الذنوب وتكفيرها

ـ تفريج كربات الدنيا والآخرة، ودفع عقوبتهما

ـ يمنع الخلود في النار

ـ هو السبب الوحيد لنيل رضا الله، وشفاعة محمد ﷺ

ـ يتوقف عليه قبول وكمال جميع الأعمال، وتضاعف أجرها

ـ يسهل على العبد فعل الخيرات، وترك المنكرات، ويصبره على الأقدار المؤلمة

ـ يحرر الناس من رق المخلوقين

ـ تكفل الله لأهله بالنصر والفتح في الدنيا

ـ وعد الله أهله بالحياة الطيبة المطمئنة في الدنيا، والجنة في الآخرة

6ـ أصالة التوحيد وطروء الشرك على بني ءادم:

الأصل في الخلق أنهم كانوا على التوحيد والهداية، وما نراه من الشرك إنما هوا طارئ عليهم، فقد كان ءادم عليه السلام مؤمنا وكذا أبناؤه، قال عزوجل: " كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ"، قال فيها ابن عباس: " كان بين نوح وآدم عشرة قرون، كلهم على شريعة من الحق. فاختلفوا، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين"، وقال ابن كثير بعد هذا الأثر: " لأن الناس كانوا على ملة آدم، عليه السلام، حتى عبدوا الأصنام، فبعث الله إليهم نوحًا عليه السلام، فكان أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض"[32] ، وفي حديث قدسي: " وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمْ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ وَأَمَرَتْهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أُنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا"[33]

([32]) تفسير ابن كثير (569/1),

([33]) أخرجه مسلم (2865).

وقصة بداية الشرك على الأرض معلومة، قال ابن عباس عن أوثان قوم نوح:" أَسْمَاءُ رِجَالٍ صَالِحِينَ مِن قَوْمِ نُوحٍ، فَلَمَّا هَلَكُوا أَوْحَى الشَّيْطَانُ إلى قَوْمِهِمْ: أنِ انْصِبُوا إلى مَجَالِسِهِمُ الَّتي كَانُوا يَجْلِسُونَ أنْصَابًا، وسَمُّوهَا بأَسْمَائِهِمْ، فَفَعَلُوا، فَلَمْ تُعْبَدْ، حتَّى إذَا هَلَكَ أُولَئِكَ وتَنَسَّخَ العِلْمُ عُبِدَتْ"[34]

7ـ علاقة توحيد الربوبية بالألوهية والعكس:

ـ توحيد الربوبية مستلزم لتوحيد الألوهية: فمن أقر بالربوبية لزمه العمل بالألوهية، قال ابن عثيمين رحمه الله: " لا رَيبَ أنَّ كُلَّ إنسانٍ عاقِلٍ يُقِرُّ بتوحيدِ الرُّبوبيَّةِ؛ فإنَّ إقرارَه ذلك حُجَّةٌ عليه أن يُقِرَّ بتوحيدِ الأُلوهيَّةِ؛ لأنَّه إذا كان يُقِرُّ بأنَّ الخالِقَ هو اللهُ، المدَبِّرُ هو اللهُ، والمالِكُ هو اللهُ، فكيف يكونُ هناك معبودٌ مع اللهِ؟"[35]

ـ توحيد الألوهية متضمن لتوحيد الربوبية: فلا يعقل أن يعمل العبد بالألوهية دون أن يكون مقرا قبل ذلك بالربوبية، قال ابن تيمية رحمه الله: " وإقراره بألوهية الله تعالى دون ما سواه يتضمن إقراره بربوبيته، وهو أنه رب كل شيء ومليكه وخالقه ومدبره، فحينئذ يكون موحداً لله"[36]

8 ـ العبادة: تعريفها وشروطها وأركانها:

- **تعريفها:**

لغة: قال الزجاج: "ومعنى العبادة في اللغة: الطاعة مع الخضوع"[37] ، وقال الراغب: "العبودية: إظهار التذلل، والعبادة أبلغ منها لأنها غاية التذلل"[38]

وشرعا: قال ابن تيمية: "هِيَ اسْمٌ جَامِعٌ لِكُلِّ مَا يُحِبُّهُ اللَّهُ وَيَرْضَاهُ: مِنْ الْأَقْوَالِ وَالْأَعْمَالِ الْبَاطِنَةِ وَالظَّاهِرَةِ"[39]

- **شروط صحتها:**

لها شرطان اثنان هما:

([34]) أخرجه البخاري (4920).
([35]) مجموع فتاوى ابن عثيمين (349/7).
([36]) رسالة العبودية
([37]) لسان العرب (273/3).
([38]) مفردات ألفاظ القرآن (ص 542)
([39]) مجموع الفتاوى (149/10).

أ ـ الإخلاص لله: قال تعالى: "وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ"، قال الحكمي في معناه: "هو أن يكون مراد العبد بجميع أقواله وأعماله الظاهرة والباطنة ابتغاء وجه الله تعالى"[40]

ب ـ المتابعة للنبي ﷺ : قال تعالى: "قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ"، وقال ﷺ : "مَن أَحْدَثَ في أَمْرِنَا هذا ما ليسَ فِيهِ، فَهو رَدٌّ"[41]

قال محمَّدُ بنُ إبراهيمَ آل الشَّيخ: "أوجَبُ الواجِباتِ إخلاصُ العَمَلِ للهِ وَحْدَه، وتجريدُ المتابعةِ للرَّسولِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، وأنكَرُ المنكَراتِ الشِّرْكُ باللهِ، والابتِداعُ في الدِّينِ بشَرعِ ما لم يأذَنْ به اللهُ"[42]، وقال ابن باز رحمه الله: "الأعمالُ لا تُقبَلُ إلَّا بالأمرَينِ: الإخلاصُ لله، والمتابَعةُ لرَسولِه صلَّى اللهُ عليه وسلَّم"[43]

- **أنواعها:**

أـ من حيث العموم والخصوص:

ـ عبودية عامة: وهي تشمل جميع المخلوقات قهرا، فهي بمعنى الملك والقهر الذل، قال عبد الرحمن بن حسن: " ومنهم من أشرك به في إلهيته وأقر له بربوبيته وأسمائه وصفاته، وأحكامه القدرية جارية عليهم ولا بد، كما قال تعالى: {إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْداً} فهذه هي العبودية العامة"[44]

ـ عبودية خاصة: تختص بالمؤمنين الطائعين، وهي اختيارية، قال عبد الرحمن بن حسن: "العبودية الخاصة فإنها تختص بأهل الإخلاص والطاعة، كما قال تعالى: {أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ} ونحوها"[45]

ب ـ من حيث محلها وأصلها وتعلقها:

ـ عبادة قلبية: تشمل قول القلب وهو التصديق، وعمل القلب كالمحبة والخوف والرجاء والتوكل وغيرهما، وحسب هذه العبادة يكون تضاعف الأجر ولو كان العمل قليلا.

([40]) أعلام السنة المنشورة (07/01).
([41]) رواه البخاري (2679) ومسلم (1718).
([42]) فتاوى ورسائل محمد بن إبراهيم (178/13),
([43]) مجموع فتاوى ابن باز (186/28).
([44]) فتح المجيد (444/1).
([45]) نفس المصدر.

ـ عبادة قولية: أي باللسان، كالذكر ونحوه

ـ عبادة بدنية: كالصلاة والحج والجهاد

ـ عبادة مالية: كالزكاة والصدقة

- **درجات العبادة:**

مجموعة في قوله تعالى: "ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ"

فأفضل درجة هي درجة السباق إلى الطاعات، الحريص عليها، بإتيان النوافل والمستحبات فضلا عن الفرائض والواجبات، وتليها درجة المقتصد، أي المقتصر على الفرائض والواجبات، وفي حديث قدسي: "وما تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بشَيءٍ أحَبَّ إِلَيَّ ممَّا افْتَرَضْتُ عليه، وما يَزالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بالنَّوافِلِ حتَّى أُحِبَّهُ"[46]

9- أركان العبادة:

تقوم العبادة على ثلاثة أركان، المحبة والخوف والرجاء، قال تعالى: " أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا"، قال ابن عثيمين رحمه الله: "العِبادةُ مَبنيَّةٌ على هذينِ الأمرَينِ: غايةُ الحُبِّ، وغايةُ الذُّلِّ؛ ففي الحُبِّ الطَّلَبُ، وفي الذُّلِّ الخَوفُ والهَرَبُ"[47]

- **المحبة:**

مفهومها:

قال ابن باز رحمه الله: "يحب الله بكل قلبه، محبة لا يعادلها شيء، يكون الله أحب إليه من كل ما سواه، محبة صادقة تقتضي طاعته وترك معصيته، وحب أوليائه ورسله، وكراهة أعدائه وبغضهم في الله عزوجل"[48]

([46]) رواه البخاري (6502).
([47]) شرح ثلاثة الأصول (ص120).
([48]) فتاوى نور على الدرب

منزلتها:

هي بمثابة رأس الطائر، فإذا فقدت فقد الإيمان، قال تعالى: "قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ"، وقال رسول الله ﷺ: "ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما...."[49]

أدلتها:

كثيرة، منها قوله تعالى: "وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ"، وقوله: "قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي"، وقوله: "فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ"، وقول النبي ﷺ: "لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين"[50]، وقوله: "لاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما"[51] .

أقسام المحبة:

قال سليمان بن عبد الله: " واعلم أن المحبة قسمان، مشتركة وخاصة:

فالمشتركة: ثلاثة أنواع:

أحدها: محبة طبيعية، كمحبة الجائع للطعام، والظمآن للماء، ونحو ذلك. وهذه لا تستلزم التعظيم.

الثاني: محبة رحمة وإشفاق، كمحبة الوالد لولده الطفل، وهذه أيضًا لا تستلزم التعظيم.

الثالث: محبة أنس وألف، وهي محبة المشتركين في صناعة، أو علم أو مرافقة أو تجارة أو سفر لبعضهم بعضًا، وكمحبة الإخوة، بعضهم بعضًا. فهذه الأنواع الثلاثة، التي تصلح للخلق، بعضهم من بعض ووجودها فيهم لا يكون شركا في محبة الله، ولهذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب الحلواء والعسل، وكان يحب نساءه، وعائشة أحبهن إليه، وكان يحب أصحابه، وأحبهم إليه الصِّدِّيق رضي الله عنه

([49]) أخرجه البخاري (16) ومسلم (43).
([50]) أخرجه البخاري (15).
([51]) البخاري (16) ومسلم (43).

القسم الثاني: المحبة الخاصة التي لا تصلح إلا لله، ومتى أحب العبد بها غيره، كان شركا لا يغفره الله، وهي محبة العبودية، المستلزمة للذل، والخضوع والتعظيم، وكمال الطاعة، وإيثاره على غيره..."[52]

أسباب المحبة:

ذكر ابن القيم رحمه الله عشر أسباب للمحبة[53] :

ـ قراءة القرآن بتدبر

ـ التقرب إلى الله بالنوافل بعد الفرائض

ـ دوام ذكر الله على كل حال

ـ إيثار محاب الله على محابك

ـ مطالعة القلب لأسماء الله وصفاته ومعرفتها

ـ مشاهدة بره وإحسانه ونعمه

ـ انكسار القلب بين يديه سبحانه

ـ الخلوة به عند وقت النزول الإلهي في الثلث الأخير من الليل

ـ مجالسة المحبين لله الصادقين

ـ مباعدة كل سبب يحول بين القلب وبين الله عزوجل

تنبيه:

أصل شرك المشركين هو اتخاذهم أندادا يحبونهم، ولذلك فالإشراك في المحبة أصل كل عمل شركي، كما قال تعالى: " قال تعالى: وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللهِ أَندَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللهِ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلهِ"

- **الخوف:**

([52]) تيسير العزيز الحميد (401/1).
([53]) مدارج السالكين (18/3، 19) باختصار.

مفهومه:

قال ابن عثيمين رحمه الله: "الخوف هو الذعر وهو انفعال يحصل بتوقع ما فيه هلاك أو ضرراً أو أذى"[54] ، قال ابن باز رحمه الله: "المؤمن يخاف الله في كل شيء لا يكون آمن، الله يقول سبحانه:[أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ].....فالواجب خوف الله مع فعل ما أوجب الله وترك ما حرم الله، يكون خوف يحمل على فعل الأسباب، يخاف الله خوفاً حقيقياً، يحمله على أداء الواجب، وعلى ترك المحرم، كما يرجوه أنه يدخله الجنة وينجيه من النار إذا أدى حقه"[55]

منزلته وآثاره:

هو بمنزلة الجناح من الطائر، إذا وقع فيه خلل كان السير إلى الله أعوجا، ومن أهميته وآثاره:

ـ "الخوف يمنع العبد عن محارم الله وتشاركه الخشية في ذلك"، قاله ابن سعدي.

ـ الخوف ينجي العبد من كل سوء، قال النبي ﷺعن الثلاث المنجيات: " وأمّا المنْجياتُ: فالعدْلُ في الغضَبِ والرّضا، والقصْدُ في الفقْرِ والغِنى، وخشيةُ اللهِ تعالَى في السِّرّ والعلانيةِ"[56]

ـ يحمل العبد على الإشفاق على الخلق، ومجانبة الكبر والغرور.

ـ نيل رضا الله في الدارين، قال تعالى: " رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ"

ـ إظلال الله له بظله يوم القيامة، ففي الحديث: "سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ في ظِلِّهِ، يَومَ لا ظِلَّ إلَّا ظِلُّهُ ... ورَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ"[57]

ـ الخوف من الله من أسباب المغفرة، قال تعالى: "إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ"

ـ دخول الجنة، قال تعالى: "وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ"

([54]) شرح ثلاثة الأصول (56).
([55]) فتاوى نور على الدرب
([56]) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (5754)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (3045).
([57]) أخرجه البخاري (660)، ومسلم (1031).

ـ الأمان يوم القيامة، قال الله عزوجل في حديث قدسي: " وعزتِي وجلالِي، لا أجمعُ لعبدِي أمنين ولا خوفين، إنْ هوَ أمنَنِي في الدنيا أخفتُه يومَ أجمعُ عبادِي، وإنْ هوَ خافني في الدنيا أمنتُه يومَ أجمعُ عبادِي"[58]

أسبابه:

ـ العلم والمعرفة بالله تعالى، قال سبحانه: "إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ"

ـ التفكر في عظمة الله وقدرته، وما أعده لمن خالف أمره، قال سبحانه: "نَبِّئ عِبادي أَنّي أَنَا الغَفورُ الرَّحيمُ* وَأَنَّ عَذابي هُوَ العَذابُ الأَليمُ"

ـ قال ابن باز رحمه الله: "من أسباب ذلك التفكر في عظمة الله، وما أعده لأوليائه من النعيم، وما أعده لأعدائه من العذاب في دار الهوان من النار، التفكير في هذا، كون المسلم والمسلمة يجعل هذا على باله، وأنه على خطر في هذه الحياة، إلا إذا قبضه الله على الإسلام والاستقامة يفكر في هذا كثير، ويسأل ربه أن الله يمنحه رقة القلب، وخشوع القلب، والبكاء من خشيته سبحانه، يسأل ربه ويضرع إليه، هذا من أسباب حصول البكاء من خشية الله. ومن أسباب ذلك العناية بطيب المطعم، كونه يتحرى الكسب الحلال الطيب، ويبتعد عن الكسب الحرام، كذلك مجالسة الأخيار، والحرص على صحبتهم هذا من أسباب خشوع القلب ودمع العين."[59]

أقسام الخوف وأنواعه وحكمها:

ذكر ابن سعدي رحمه الله[60] أن الخوف أربعة أقسام:

الأول: خوف تأله لله، وتعلقه بالله من أعظم الواجبات، ويسمى خوف العبادة، ويكون بتذلل وتعظيم، قال ابن عثيمين رحمه الله: " خوف العبادة أن يخاف أحداً يتعبد بالخوف له فهذا لا يكون إلا لله تعالى. وصرفه لغير الله تعالى شرك أكبر"[61]

([58]) أخرجه عبد الله بن المبارك في " الزهد " برقم (157)، قال الألباني عن إسناد عبد الله: "وهذا إسناد صحيح، لكنه مرسل. وقد وصله يحيى بن صاعد في [زوائد الزهد] (158)". انظر السلسلة الصحيحة (367/2).

([59]) فتاوى نور على الدرب.

([60]) انظر القول السديد (115، 116).

([61]) شرح الأصول الثلاثة (ص56).

الثاني: خوف تأله لغير الله وهذا شرك أكبر، كأن يخاف غير الله كخوف الله تذللا وخضوعا، أو يحمله خوفه على طاعته في تحليل حرام أو تحريم حلال، ويدخل في هذا خوف السر الذي ذكره ابن عثيمين رحمه الله: " خوف السر كأن يخاف صاحب القبر، أو ولياً بعيداً عنه لا يؤثر فيه لكنه يخافه مخافة سر فهذا أيضاً ذكره العلماء من الشرك"[62]

الثالث: خوف طبيعي كالخوف من الأسد والحية والنار وغير ذلك، قال السعدي رحمه الله: " وإن كان الخوف طبيعياً كمن يخشى من عدو أو سبع أو حية أو نحو ذلك مما يخشى ضرره الظاهري، فهذا النوع ليس عبادة، وقد يوجد من كثير من المؤمنين، ولا ينافي الإيمان، وهذا إذا كان خوفاً محققاً قد انعقدت أسباب الخوف فليس بمذموم"[63]

الرابع: خوف وهمي كالخوف الذي ليس له سبب أصلاً وهذا مذموم يدخل صاحبه في وصف الجبناء، قال السعدي رحمه الله: "وإن كان هذا خوفاً وهميا كالخوف الذي ليس له سبب أصلاً، أو له سبب ضعيف فهذا مذموم يدخل صاحبه في وصف الجبناء، وقد تعوذ صلى الله عليه وسلم من الجبن فهو من الأخلاق الرذيلة"[64]

- **الرجاء:**

مفهومه:

قال ابن عثيمين رحمه الله: " الرجاء طمع الإنسان في أمر قريب المنال، وقد يكون في بعيد المنال تنزيلاً له منزلة القريب "[65] ، فهو الاستبشار وحسن الظن بالله والطمع في فضله وإحسانه، وضده القنوط وهو من الكبائر.

منزلته وآثاره:

هو كالخوف بمنزلة الجناح من الطائر، وضده القنوط من الكبائر المؤدية إلى الكفر بسبب اليأس من رحمة الله، قال النبي ﷺ: " لا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهو يُحْسِنُ الظَّنَّ باللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ"[66] ،ومن آثاره:

([62]) نفس المصدر.
([63]) القول السديد (115، 116).
([64]) نفس المصدر.
([65]) شرح الأصول الثلاثة (ص57)
([66]) أخرجه مسلم (2877).

ـ يحث العبد على مواصلة السير إلى الله ولو تعثر.

ـ يقود المرء إلى التعرف على الله بأسمائه نحو الرحيم والرؤوف والغفور والتواب.

ـ يزيد العبد محبة لربه عزوجل وتعلقا به، خاصة بعد حصول مرجوّه.

ـ أن الله قال في حديث قدسي: " أنا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بي"[67]

ـ أن الله يحب من عباده سؤاله ورجاءه، ففي الحديث: " مَن لم يسألِ اللهَ يغضبْ علَيهِ"[68]

أنواع الرجاء:

والرجاء نوعان:

أـ رجاء طبيعي: وهو رجاء من المخلوق فيما يقدر عليه، دون تعلق القلب به، وإلا كان شركا أصغر

ب ـ رجاء العبادة: وهو المتضمن لتعلق القلب والذل والخضوع، فإن كان فيما لا يقدر عليه إلا الله عزوجل، كمغفرة ذنب، أو حصول ولد، أو دخول الجنة، كان شركا أكبر، وإلا فهو كما قال ابن عثيمين رحمه الله: " والرجاء المتضمن للذل والخضوع لا يكون إلا لله عز وجل وصرفه لغير الله تعالى شرك إما أصغر، وإما أكبر بحسب ما يقوم بقلب الراجي"[69]

تنبيه:

الرجاء يكون محمودا ويكون مذموما بحسب العمل، قال ابن عثيمين رحمه الله: " واعلم أن الرجاء المحمود لا يكون إلا لمن عمل بطاعة الله ورجا ثوابها، أو تاب من معصيته ورجا قبول توبته، فأما الرجاء بلا عمل فهو غرور وتمن مذموم"[70] ، وقال النبي ﷺ: "الكيّس مَن دان نفسه وعمِل لما بعد الموت، والعاجز مَن أتبع نفسه هواها وتمنَّى على الله الأماني"[71]

([67]) أخرجه البخاري (7405).
([68]) أخرجه الترمذي (3373) وغيره، وحسنه الألباني في صحيح الترمذي (3373)
([69]) شرح الأصول الثلاثة (ص58).
([70]) نفس المصدر
([71]) سنن الترمذي (249).

أدلته: كثيرة ومنها قوله تعالى: " إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ"، وقوله: " فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا"، وقوله: " قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ"، وتقدمت أحاديث في ذلك، وقال النبي ﷺ: " يقولُ اللَّهُ عزَّ وجلَّ: مَن جاءَ بالحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَأَزِيدُ، وَمَن جاءَ بالسَّيِّئَةِ فَجَزَاؤُهُ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا أَوْ أَغْفِرُ، وَمَن تَقَرَّبَ مِنِّي شِبْرًا تَقَرَّبْتُ منه ذِرَاعًا، وَمَن تَقَرَّبَ مِنِّي ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ منه بَاعًا، وَمَن أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً، وَمَن لَقِيَنِي بقُرَابِ الأرْضِ خَطِيئَةً لا يُشْرِكُ بي شيئًا، لَقِيتُهُ بمِثْلِهَا مَغْفِرَةً "[72]

من أسباب الرجاء:

ـ تذكر فضل الله وما أنعم به علينا من نعم لا تعد ولا تحصى، قال تعالى: " وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا"

ـ ذكر سعة رحمة الله عزوجل، وأنه أرحم بالعبد من أمه، قال سبحانه: " وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ"

ـ ذكر وعد الله عزوجل بالمغفرة لمن تاب وإجابة من دعاه وإدخال المؤمنين الجنة، قال تعالى: "وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ"

ـ التفكر في أسماء الله الحسنى ومعانيها، قال عزوجل: " إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ"

الجمع بين المحبة والخوف والرجاء:

تقدم أن هذه الأركان بمثابة الطائر، فالمحبة رأسه والخوف والرجاء جناحاه، وكذا السائر إلى الله تعالى، فلا يغلب الخوف فيقنط من رحمة الله، ولا يغلب الرجاء فيأمن من مكر الله ويجترئ على محارمه، فلا إفراط ولا تفريط، قال تعالى: " أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ"، وقال تعالى: " إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ"، قال ابن عثيمين رحمه الله: " فهم يدعون الله رغبة فيما عنده وطمعاً في ثوابه مع خوفهم من عقابه وآثار ذنوبهم، والمؤمن ينبغي أن يسعى إلى الله تعالى بين الخوف والرجاء، ويغلب

([72]) أخرجه مسلم (2687).

الرجاء في جانب الطاعة لينشط عليها ويؤمل قبولها، ويغلب الخوف إذا هم بالمعصية ليهرب منها وينجو من عقابها.

وقال بعض العلماء: يغلب جانب الرجاء في حال المرض وجانب الخوف في حال الصحة؛ لأن المريض منكسر ضعيف النفس وعسى أن يكون قد اقترب أجله فيموت وهو يحسن الظن بالله عز وجل، وفي حال الصحة يكون نشيطاً مؤملاً طول البقاء فيحمله ذلك على الأشر والبطر فيغلب جانب الخوف ليسلم من ذلك.

وقيل يكون رجاؤه وخوفه واحداً سواء لئلا يحمله الرجاء على الأمن من مكر الله، والخوف على اليأس من رحمة الله وكلاهما قبيح مهلك لصاحبه"[73]

10- الدعاء: تعريفه وأقسامه وآدابه:

تعريفه:

لغة: النداء

شرعا: قال سليمان بن عبد الله: " طلب ما ينفع الداعي من جلب نفع أو كشف ضر"[74]

أقسامه:

قال ابن عثيمين رحمه الله: " وأعلم أن الدعاء نوعان: دعاء مسألة ودعاء عبادة:

فدعاء المسألة: هو دعاء الطلب أي طلب الحاجات وهو عبادة إذا كان من العبد لربه، لأنه يتضمن الافتقار إلى الله تعالى واللجوء إليه، واعتقاد أنه قادر كريم واسع الفضل والرحمة، ويجوز إذا صدر من العبد لمثله من المخلوقين إذا كان المدعو يعقل الدعاء ويقدر على الإجابة كما سبق في قوله القائل يا فلان اطعمني.

([73]) شرح الأصول الثلاثة (ص60)

([74]) تيسير العزيز الحميد (176/1)

وأما دعاء العبادة: فأن يتعبد به للمدعو طلباً لثوابه وخوفاً من عقابه وهذا لا يصح لغير الله وصرفه لغير الله شرك أكبر مخرج من الملة وعليه يقع الوعيد في قوله تعالى: [إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِين]"[75]

حكمه:

دعاء الله عزوجل واجب، لقوله تعالى: " وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ"، قال الشوكاني: "إنه سبحانه وتعالى أمر عباده أن يدعوه، ثم قال: [إِنَّ الذين يَستَكبِرُونَ عَن عبادتي]، فأفاد ذلك أن الدعاء عبادة، وأن ترك دعاء الرب سبحانه استكبار، ولا أقبح من هذا الاستكبار"[76] ، وفي الحديث: " من لم يسأل الله يغضب عليه"[77] ، قال المناوي: "لأن تارك السؤال إما قانط وإما متكبر، وكل واحد من الأمرين موجب الغضب"[78]

من فضائله:

ـ عبادة الله عزوجل، ففي الحديث: "الدعاء هو العبادة"[79]

ـ تحصيل الاستجابة، قال تعالى: " وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ"

ـ طاعة الله وامتثال أمره حين قال: "ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً"

ـ دفع غضب الله عزوجل، كما تقدم قوله ﷺ: " من لم يسأل الله يغضب عليه"

ـ هو أكرم شيء على الله تعالى، قال ﷺ: " ليسَ شيءٌ أكرمَ علَى اللهِ من الدُّعاءِ"[80]

ـ سبب لرفع البلاء، ففي الحديث: "الدُّعاءُ يَنفعُ ممَّا نَزَلَ، وممَّا لمْ يَنزِلْ؛ فعليكم عبادَ اللهِ بالدُّعاءِ"[81]

([75]) شرح الأصول الثلاثة (ص56).
([76]) تحفة الذاكرين (ص28)
([77]) أخرجه أحمد (442/2) وغيره، وحسنه الألباني في صحيح الأدب المفرد (512).
([78]) فيض القدير (12/3)
([79]) أخرجه أبو داود (1479) وغيره، وقال الألباني في الترغيب والترهيب (388/2): "إسناده صحيح أو حسن أو ما قاربهما".
([80]) أخرجه الترمذي (3370) وغيره، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب (1629).
([81]) أخرجه الحاكم في المستدرك (1839).

ـ الظفر بمعية الله تعالى، قال اللهُ تعالى: " أنا عندَ ظنِّ عبدي بي وأنا معه إذا دعاني"[82]

ـ سبب لانشراح الصدر والثبات وعدم الخوف، قال تعالى: " قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ"

آدابه وأسباب إجابته وموانعها:

من أحسن ما قيل في هذا الباب ما قاله ابن القيم رحمه الله: "وإذا جمع الدعاءُ حضورَ القلب وجمعيتَه بكلّيته على المطلوب، وصادف وقتًا من أوقات الإجابة الستة وهي: الثلث الأخير من الليل، وعند الأذان، وبين الأذان والإقامة، وأدبار الصلوات المكتوبات، وعند صعود الإمام يوم الجمعة على المنبر حتى تقضى الصلاة، وآخر ساعة بعد العصر من ذلك اليوم، وصادف خشوعًا في القلب، وانكسارًا بين يدي الربّ، وذلاً له، وتضرّعًا ورِقّةً؛ واستقبل الداعي القبلة، وكان على طهارة، ورفع يديه إلى الله تعالى، وبدأ بحمد الله والثناء عليه، ثم ثنّى بالصلاة على محمَّد عبده ورسوله ﷺ، ثم قدّم بين يدي حاجته التوبة والاستغفار، ثم دخل على الله، وألحّ عليه في المسألة، وتملّقه، ودعاه رغبة ورهبة، وتوسّل إليه بأسمائه وصفاته وتوحيده، وقدّم بين يدي دعائه صدقة، فإنّ هذا الدعاء لا يكاد يُرَدّ أبدًا، ولا سيما إن صادف الأدعية التي أخبر النبي ﷺ أنها مظنة الإجابة، أو أنها متضمنة للاسم الأعظم"[83] ، ومن الآداب كذلك: عدم الاعتداء في الدعاء، وخفض الصوت به وغيرها، ومن أوقات الإجابة كذلك: وقت السحر، عند إفطار الصائم، عند نزول الغيث، في السجود، في السفر والمرض وأوقت الاضطرار وغيرها، ومن الموانع: كثرة المعاصي، وأكل الحرام، وخاصة الربا وغيرها.

مذاهب الناس في تأثير الدعاء وفائدته وبيان الحق في ذلك[84]:

ذكر ابن القيم رحمه الله، أن الناس في ذلك بين غال وجاف ووسط:

ـ فمن الناس من جفا في تأثير الدعاء فزعم أن القدر نافذ سواء دعا العبد أو لم يدع فالدعاء لا فائدة منه، وهو عبودية محضة، ويُجاب عليهم: أن القدر مرتب على سبب، فإن وجد السبب وجد ما رتب عليه وإلا فلا، ومن أسباب المطلوب الدعاءُ، كما أن من أسباب الولد الزواج.

([82]) أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد (151/10) وقال: "رجاله رجال الصحيح".
([83]) الداء والدواء (17/1).
([84]) من كلام ابن القيم في مدارج السالكين (104/3، 105) بتصرف.

ـ ومن الناس من غلا في تأثيره فزعم أنه مؤثر بذاته حتى كأنه سبب مستقل، فجعلوها موجبا لحصول المطلوب، ويُجاب عليهم: أن لا موجب إلا مشيئة الله عزوجل، فهو الذي جعل السبب سببا ورتب عليه حصول المسبب، ولو شاء لمنع ذلك أو أوجد المسبب بسبب آخر.

ـ والحق الوسط هو أن الدعاء سبب من أسباب تحصيل المطلوب، ومن أقوى الأسباب الشرعية، وفي الحديث: " لا يردُّ القدرَ إلَّا الدُّعاءُ"[85]

11ـ لا إله إلا الله: معناها، وأركانها، وشروطها، ونواقضها:

معناها:

معنى لا إله إلا الله هو: لا معبود بحق إلا الله، قال مُحَمَّدُ بنُ عَبدِ الوَهَّابِ: "معناها: لا مَعبودَ بحَقٍّ إلَّا اللهُ وَحْدَه، و (لا إلهَ) نافيًا جميعَ ما يُعبَدُ مِن دونِ اللهِ، (إلَّا اللهُ) مُثبِتًا العِبادةَ للهِ وَحْدَه لا شَريكَ له في عبادتِه، كما أنَّه ليس له شَريكٌ في مُلْكِه"[86] ، وقال سُلَيمانُ بنُ عبدِ اللهِ آل الشَّيخِ: "معنى "لا إلهَ إلَّا اللهُ"، أي: لا معبودَ بحَقٍّ إلَّا إلهٌ واحدٌ، وهو اللهُ وَحْدَه لا شريكَ له"[87]

أركانها:

لها ركنان: النفي والإثبات، نفي الإلهية عن كل ما سوى الله تعالى؛ بقولك: (لا إله)، وإثبات الإلهية لله وحده؛ بقولك: (إلا الله)، قال الشيخ الفوزان حفظه الله: "والخلاصة: أن لا إله إلا الله لها ركنان: هما النفي والإثبات، فإذا قيل لك: ما هي أركان لا إله إلا الله، فتقول النفي والإثبات"[88] ، قال الشيخ ابن عثيمين: "وهي مبنية على ركنين نفي وإثبات، نفي الألوهية عما سوى الله وإثباتها لله وبهذا يتحقق التوحيد أي باجتماع النفي والإثبات يتحقق التوحيد ووجه ذلك أن النفي المحض الذي لا يُقرن بإثبات نفي محض فهو عدم وأن الإثبات المحض الذي لا يقترن بالنفي إثبات لا يمنع المشاركة فلا

([85]) حسنه الألباني في صحيح ابن ماجه (73).
([86]) ثلاثة الأصول (ص14).
([87]) تيسير العزيز الحميد (52/1).
([88]) شرح ثلاثة الأصول (ص172).

يتحقق التوحيد إلا بإثبات ونفي، نفي الحكم عما سوى من أثبت له وإثباته لمن أثبت له وهذان الركنان هما الأصل"[89]

شروطها:

ذكرها الشيخ الفوزان حفظه الله: وشروطها سبعة لا تنفع إلا بهذه الشروط نظمها بعضهم بقوله:

علم يقين وإخلاص وصدقك ... مع محبة وانقياد والقبول لها

فالعلم: [قال اللهُ تعالى: "فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ"]: ضده الجهل، فالذي يقول: لا إله إلا الله بلسانه ويجهل معناها هذا لا تنفعه لا إله إلا الله.

واليقين: [قال اللهُ تعالى: " إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا"]: فلا يكون عنده شك؛ لأن بعض الناس قد يعلم معناها ولكن عنده شك في ذلك، فليس علمه بصحيح، لا بد أن يكون عنده يقين بلا إله إلا الله وأنها حق.

والإخلاص: [قال تعالى: "إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا * إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ..."الآية]: ضده الشرك، بعض الناس يقول: لا إله إلا الله؛ ولكنه لا يترك الشرك، مثل ما هو الواقع الآن عند عباد القبور، هؤلاء لا تنفعهم لا إله إلا الله؛ لأن من شروطها ترك الشرك.

والصدق: ضده الكذب؛ لأن المنافقين يقولون: لا إله إلا الله؛ لكنهم كاذبون في قلوبهم، لا يعتقدون معناها، قال الله تعالى: [إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً] [المنافقون:1، 2].

والمحبة: [قال تعالى: "وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ"]: أن تكون محبًّا لهذه الكلمة وليًّا لأهلها، أما الذي لا يحبها أو لا يحب أهلها فإنها لا تنفعه.

والانقياد: [قال تعالى: "وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ"]: ضد الإعراض والترك، وهو الانقياد لما تدل عليه من عبادة الله وحده لا شريك له،

([89]) فتاوى نور على الدرب

وامتثال أوامره، ما دمت اعترفت وشهدت أنه لا إله إلا الله يلزمك أن تنقاد لأحكامه ودينه، أما أن تقول: لا إله إلا الله، ولا تنقاد لأحكام الله وشرعه فإنها لا تنفعك لا إله إلا الله.

والقبول: [قال تعالى: "إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ"]: القبول المنافي للرد، بأن لا ترد شيئًا من حقوق لا إله إلا الله، وما تدل عليه بل تقبل كل ما تدل عليه لا إله إلا الله، تتقبله تقبلًا صحيحًا.

وزيد شرط ثامن:

وزيد ثامنها الكفران بما ... مع الإله من الأشياء قد ألها

أي: البراءة من الشرك، فلا يكون موحدًا حتى يتبرأ من الشرك: {وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ} [الزخرف: 26] .

هذه شروط لا إله إلا الله، ثمانية شروط"[90]

نواقضها:

ذكر الشيخ الفوزان حفظه الله[91] أنها كثيرة ترجع إلى أربعة أقسام:

الأول: الردة بالقول: كسب الله أو رسوله أو دينه، أو الاستهزاء بها، أو ادعاء علم الغيب، أو ادعاء النبوة، أو دعاء غير الله والاستعاذة به، وغيرها.

الثاني: الردة بالفعل: كالسجود لغير الله، والذبح له، وتدنيس المصحف، والسحر، والحكم بغير ما أنزل الله معتقدا حله، ومظاهرة الكفار على المسلمين لدينهم، والإعراض عن دين الله بالكلية لا يتعلمه ولا يعمل به، وغيرها.

الثالث: الردة بالاعتقاد: كاعتقاد شريك لله، أو تحليل الربا أو الزنا، أو أن الصلاة غير واجبة، أو اعتقاد عدم كفر المشركين وتصحيح مذهبهم، أو اعتقاد أن غير هدي النبي ﷺ خير من هديه وحكمه خير من حكمه، وكمن أبغض شيئا من الدين لذات الشريعة ولو عمل به، وغيرها.

([90]) شرح ثلاثة الأصول (ص173)، بتصرف يسير، بزيادة بعض الأدلة.
([91]) كتاب التوحيد للفوزان (ص 36) بتصرف.

الرابع: الردة بالشك: كمن شك في تحريم الشرك أو الزنا، أو في نبوة محمد وصدقه، أو في صلاحية الإسلام لكل زمان، وغيرها.

تنبيه:

من وقع في شيء مما مضى، فإنما يُقال وقع في عمل كفري، ولا يُقال هو كافر، فنفرق بين الفعل والفاعل، فإن التكفير وإنزال الأحكام على الأشخاص إنما مرده إلى العلماء الكبار الراسخين، وليس لأي أحد دونهم، فكل ما على من تعلم نواقض الإسلام أن يحذر منها ويُحذّر منها.

ثانيا: الشرك بالله

1- تعريفه وأقسامه:

تعريفه:

قال السعدي: " وحقيقة الشرك بالله: أن يُعبد المخلوق كما يعبد الله أو يُعظم كما يعظم الله أو يُصرف له نوع من خصائص الربوبية والألوهية"[92]

أقسامه:

- **شرك أكبر:**

ـ تعريفه: قال محمد بن عبد الوهاب: " هو صرف نوع من العبادة إلى غير الله، أو: هو أن يدعو مع الله غيره، أو يقصده بغير ذلك من أنواع العبادة التي أمر الله به"[93]

ـ حكمه: مخرج من الملة، يخلد صاحبه في النار، قال تعالى: "إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ".

ـ أنواعه: قال محمد بن عبد الوهاب: " وهو أربعة أنواع:

"النوع الأول" شرك الدعوة، والدليل قوله تعالى: {فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ}.

"النوع الثاني" شرك النية والإرادة والقصد، والدليل قوله تعالى: {مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لا يُبْخَسُونَ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}.

"النوع الثالث" شرك الطاعة، والدليل قوله تعالى: {اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهاً وَاحِداً لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ}: وتفسيرها الذي لا إشكال فيه، طاعة العلماء والعباد في المعصية لا دعاؤهم إياهم، كما فسرها النبي ﷺ، لعدي بن حاتم لما سأله، فقال: لسنا نعبدهم، فذكر له أن عبادتهم طاعتهم في المعصية"

([92]) تفسيره (499/2).

([93]) (مؤلفات الشيخ: قسم العقيدة)) (ص: 281)

"النوع الرابع" شرك المحبة، والدليل قوله تعالى: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ} "[94]

- **شرك أصغر:**

تعريفه: قال ابن باز رحمه الله: " وَهُوَ كل عمل قولي أَو فعلي أطلق عَلَيْهِ الشَّرْع وصف الشّرك وَلكنه لَا يخرج من الْملَّة"[95]

حكمه: محرم، لكنه لا يخرج من الملة ولا يخلد صاحبه في النار، قال السعدي: " إنَّه بإجماعِ الأئمَّةِ أنَّ الشِّرْكَ الأصغَرَ لا يَدخُلُ في تلك الآيةِ يعني قَولَه تعالى :[إِنَّهُ مَنْ يُشرِكْ بِاللَّهِ فَقَد حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيهِ الجَنَّةَ ومَأوَاهُ النَّارُ]، وكذلك لا يدخُلُ في قَولِه تعالى :[لَئِنْ أَشرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ]، لأنَّ العَمَلَ هنا مُفرَدٌ مُضافٌ، ويشمَلُ الأعمالَ كُلَّها، ولا يُحبِطُ الأعمالَ الصَّالِحةَ كُلَّها إلَّا الشِّرْكُ الأكبَرُ"[96]

أقسامه: هو قسمان ظاهر وخفي:

فأما الظاهر: فيشمل الأقوال كالحلف بغير الله، والتسوية بين الله وخلقه بالواو، والاستسقاء بالأنواء لمن اعتقده سببا وغيرها، ويشمل الأفعال كلبس الحلقة والخيط ونحوهما وتعليق التمائم دفعا للضر لمن اعتقدها سببا وغيرها.

وأما الخفي: فهو ما قام بالقلب، كالرياء والتطير وإرادة الإنسان بعمله الدنيا والركون إلى الأسباب دون مسببها وغيرها.

2- السحر وأنواعه:

تعريفه:

لغة: هو صَرْفُ الشَّيءِ عن وَجْهِه[97] ، وقال ابن عثيمين: " ما خفي ولطف سببه"[98]

([94]) الرسالة المفيدة (ص43).
([95]) فتاوى مهمة لعموم الأمة (ص28).
([96]) يُنظر: ((الشيخ عبد الرحمن بن سعدي وجهوده في توضيح العقيدة)) لعبد الرزاق العباد (ص: 188)
([97]) انظر مقاييس اللغة (181/3).
([98]) القول المفيد (489/1).

شرعا: ذكر ابن عثيمين أنه قسمان[99]:

الأول: عقد ورقى، أي: قراءات وطلاسم يتوصل بها الساحر إلى استخدام الشياطين فيما يريد به ضرر المسحور، لكن قد قال الله تعالى: {وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ}

الثاني: أدوية وعقاقير تؤثر على بدن المسحور وعقله وإرادته وميله; فتجده ينصرف ويميل

فالسحر قسمان:

أ: شرك وهو الأول الذي يكون بواسطة الشياطين; يعبدهم ويتقرب إليهم ليسلطهم على المسحور.

ب: عدوان وفسق، وهو الثاني الذي يكون بواسطة الأدوية والعقاقير ونحوها.

أنواعه:

ينقسم إلى قسمين: حقيقي، وتخييلي: قال ابن باز رحمه الله: " فالسحر حقيقة، لكن بعضه تخييل وتلبيس، ولا حقيقة له واقعية"[100]

أما الحقيقي: هو نوعان[101] :

النوع الأول: سحر يستخدم فيه الساحر الاستعانة بالشياطين، ومنه الصرف والعطف.

النوع الثاني: استخدام الساحر للعقاقير والأدوية.

وأما التخييلي: وهو ليس سحراً حقيقياً، وإنما هو خفة يد، أو خفة حركة، فهو يسحر الأعين، لا يقلب الحقائق، وهذا كما قص الله علينا في سحرة فرعون.

حكم الشرع في السحر والساحر:

ربط الشيخ الشنقيطي رحمه الله [102]حكم السحر بما يتصل به من أسباب؛ فإن كانت أسبابه كفراً، فهو من أنواع السحر التي يكفر متعاطيها، وإن كانت أسبابه غير مكفرة؛ فهذا ليس كفراً وإن اشتمل على التخييل والكذب والخداع والغش، بل هو عمل محرم من كبائر الذنوب، قال رحمه الله:"

والتحقيق في هذه المسألة هو التفصيل، فإن كان السحر مما يعظم فيه غير الله كالكواكب والجن

([99]) نغس المصدر السابق.

([100]) فتاوى نور على الدرب

([101]) انظر شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي، شرح محمد حسن عبد الغفار

([102]) انظر جهود الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في تقرير عقيدة السلف، لعبد الطويان (206/1).

وغير ذلك مما يؤدي إلى الكفر، فهو كفر بلا نزاع. ومن هذا النوع سحر هاروت وماروت المذكور في سورة البقرة؛ فإنه كفر بلا نزاع، كما دل عليه قوله تعالى: {وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ} 1وقوله تعالى: {وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ}، وقوله: {وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ}، وقوله تعالى: {وَلا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى} .... وإن كان السحر لا يقتضي الكفر؛ كالاستعانة بخواص بعض الأشياء من دهانات وغيرها: فهو حرام حرمة شديدة، ولكنه لا يبلغ بصاحبه الكفر"[103]

حد الساحر:

قال الحكمي رحمه الله: " روى الترمذي عن جندب قال: قال رسول الله ﷺ: «حد الساحر ضربه بالسيف»، وصحح وقفه وقال: العمل على هذا عند بعض أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ وغيرهم، وهو قول مالك بن أنس، وقال الشافعي رحمه الله تعالى: إنما يقتل الساحر إذا كان يعمل من سحره ما يبلغ الكفر فأما إذا عمل دون الكفر فلم ير عليه قتلا، وقد ثبت قتل الساحر عن عمر وابنه عبد الله وابنته حفصة، وعثمان بن عفان، وجندب بن عبد الله، وجندب بن كعب، وقيس بن سعد، وعمر بن عبد العزيز، وأحمد، وأبي حنيفة وغيرهم رحمهم الله"[104]

بعض صور السحر المعاصرة

ـ فتح قنوات خاصة بالسحر والدجل، فصاروا يصلون إلى مشاهديهم الجاهلين والضالين إلى كل مكان عبر برامج مباشرة وغير مباشرة، ومنها ما يسمونه الأبراج، وحظك اليوم

ـ وقد يظهر الساحر أو الدجال يجيب على أسئلة المشاهدين ويحاورهم ويصف لهم الأدوية مستخدماً في ذلك السحر، أو الكهانة بإخبارهم عن المستقبل

ـ وبعضهم قد يستخدم التمويه فيظهر نفسه راقياً بالقرآن الكريم ليصطاد عقول الجاهلين وأموالهم

ـ إنشاء معاهد ومواقع الكترونية تقوم بتعليم التنجيم والسحر، ومنح شهادات للدارسين، وكذلك إنشاء اتحاد المنجمين الذي يضم آلاف الأعضاء

([103]) أضواء البيان، تفسير سورة طه، الآية (69).

([104]) أعلام السنة المنشورة (ص103).

ـ ظهور ما يسمى بالروحية الحديثة، فيزعمون أنهم يستدعون أرواح الموتى ويستعينون بهم في معرفة الغيبيات وشفاء المرضى ... الخ.

ـ انتشار سحر التأثير في المسابقات، أو ما يسمى بـ (الدن بوشي)، للتأثير على نتيجة المسابقة أو معرفة الفائز فيها.

3ـ الشعوذة:

تعريفها:

هي خفة اليد، واستعانة بخواص المواد الكيميائية، ليس فيها استعانة بالشياطين، قال المبارك الميلي رحمه الله: " سحر أصحاب الشعوذة: النوع الرابع: سحر المشعوذين يخدعون الناس بحركات خفيفة، يصرفون بها الأنظار عما يريدون فعله والاحتيال فيه إلى شيء معين يحدق الحاضرون إليه بأعينهم" [105] ، وأمثلتها كثيرة معلومة.

حكمها:

تقدم قول الشنقيطي: " كالاستعانة بخواص بعض الأشياء من دهانات وغيرها: فهو حرام حرمة شديدة، ولكنه لا يبلغ بصاحبه الكفر"، وذلك لأنه:

ـ يوقع الناس في الخديعة.

ـ ويوقع في أنفسهم توهمات واعتقادات باطلة.

ـ ويهون في نفوسهم السحر وما تعلق به.

4ـ النشرة:

تعريفها:

قال ابن عثيمين رحمه الله: " في اللغة، بضم النون: فعلة من النشر، وهو التفريق.

وفي الاصطلاح: حل السحر عن المسحور.

لأن هذا الذي يحل السحر عن المسحور: يرفعه، ويزيله، ويفرقه."[106]

([105]) رسالة الشرك ومظاهره (ص230).

([106]) القول المفيد (553/1).

أنواعها وحكمها:

قال ابن عثيمين رحمه الله: " وهي على نوعين:

الأول: أن تكون باستخدام الشياطين، فإن كان لا يصل إلى حاجته منهم إلا بالشرك، كانت شركا، وإن كان يتوصل لذلك بمعصية دون الشرك، كان لها حكم تلك المعصية.

الثاني: أن تكون بالسحر، كالأدوية والرقى والعقد والنفث وما أشبه ذلك، فهذا له حكم السحر على ما سبق."[107]

وقال ابن القيم رحمه الله: " وَالنَّشْرَةُ: حَلُّ السِّحْرِ عَنْ الْمَسْحُورِ، وَهِيَ نَوْعَانِ: حَلُّ سِحْرٍ بِسِحْرٍ مِثْلَهُ، وَهُوَ الَّذِي مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ؛ فَإِنَّ السَّحَرَ مِنْ عَمَلٍ فَيَتَقَرَّبُ إلَيْهِ النَّاشِرُ وَالْمُنْتَشِرُ بِمَا يُحِبُّ، فَيُبْطِلُ عَمَلَهُ عَنْ الْمَسْحُورِ، وَالثَّانِي: النَّشْرَةُ بِالرُّقْيَةِ وَالتَّعَوُّذَاتِ وَالدَّعَوَاتِ وَالْأَدْوِيَةِ الْمُبَاحَةِ، فَهَذَا جَائِزٌ، بَلْ مُسْتَحَبٌّ، وَعَلَى النَّوْعِ الْمَذْمُومِ يُحْمَلُ قَوْلُ الْحَسَنِ [لَا يَحِلُّ السِّحْرَ إلَّا سَاحِرٌ]"[108]

5ـ ادعاء الغيب وبعض صوره

ـ الكهانة: الكِهانة، وهيَ: ادِّعاءُ معرفةِ الأشياء، وإخبارُ النَّاسِ عنِ الْمُغَيَّباتِ، ومن أتاه مصدقا له كفر، ومن أتاه دون تصديق لم تقبل له صلاة أربعين، كما في الحديث، وقال ﷺ: "مَنْ أَتَى كَاهِنًا، أَوْ عَرَّافًا، فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّد"[109]، وهيَ أنواعٌ: فمنها ما يَتَلَقَّاهُ الكاهنُ مِن الْجِنِّ.

ـ ومِنْ صُوَر الكِهانةِ الحديثةِ: قِرَاءةُ الكَفِّ والفنجان، قال الشيخ ابنُ باز: "الكف والفنجان وأشباه ذلك وضرب الحصى والودع، كل هذا ضَلالٌ، ومِنْ دعوى علم الغيب، فإذا زعم أنه يعلَمُ الغيبَ بهذه الأُمورِ صارَ كافرًا كُفْرًا أكبر، نعوذ بالله؛ لأنَّ الغيبَ لا يعلَمُهُ إلا الله، ولا يُعْلَمُ بضربِ الْحَصَى ولا بقِرَاءةِ الكَفِّ ولا الفِنجان، ولا بغيرِ ذلكِ مما يَتَعَاطَاهُ المشعوذون"[110]

ـ من صوره الحديثة، التكهن بمستقبل الشخص من خلال طريقة توقيعه وكتابته، وتسمى الجرافولوجي.

([107]) القول المفيد (554/1).
([108]) إعلام الموقعين (301/4).
([109]) صحح الألباني وقفه على ابن مسعود في صحيح الترغيب (3048).
([110]) فتاوى نور على الدرب

ـ ومِنْ صُوَرِه: تَحْضير الأرواح، يَدَّعي أصحابُها أنهم يَستدعون رُوحَ الْمَيِّتِ، ويَستخبرونها عن الْمُغيَّبات، ويَستعينون بها في كشفِ الجرائمِ والدِّلالة على الآثار القديمة، قال الشيخ ابن باز رحمه الله: "ولا شكَّ أن هذه الأرواح التي يَستحضرونها بزعمهم داخلةٌ فيما مَنَعَ منهُ النبيُّ ﷺ، لأنها مِن جنس الأرواح التي تقترنُ بالكُهَّانِ والعرَّافينَ مِن أصنافِ الشياطينِ فيكونُ لَهَا حُكْمُها، بلْ كُلُّ ذلكَ مُحرَّمٌ ومُنكرٌ بلْ وباطلٌ"[111]

ـ ومِنْ صوره: التنجيم، قال ابنُ تيمية: "الاسْتِدْلالُ بالأَحْوَالِ الْفَلَكِيَّةِ عَلَى الْحَوَادِثِ الأَرْضِيَّةِ"، فهو رَبْطُ ما سَيَقَعُ بحركةِ النُّجوم، وأنَّ لَهَا أَثَرًا في الحوادث المستقبلية، وقد عَدَّه النبيُّ ﷺ شُعْبَةً مِنْ شُعَبِ السِّحْرِ فقالَ: "مَنْ اقْتَبَسَ عِلْمًا مِنَ النُّجُومِ، اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ السِّحْرِ زَادَ مَا زَادَ"[112]

ومن صور ادعاء علم الغيب: الرمال، قال ابن باز رحمه الله: " والعَرَّاف والكاهن والمنجم والرَّمَّال كلها معناها واحد، وهم الذين يدَّعون علم الغيب بأسبابٍ يدَّعونها، من ضرب الرمل، من ضرب الحصى، من حسب النجوم، من غير هذا من خُرافاتهم، فالواجب الحذر منهم، وعدم سؤالهم، وعدم تصديقهم."[113]

ومِن صُوَرِه: الْطِّيَرةُ، قال السعديُّ: "وهو التشاؤم بالطيور والأسماء والألفاظ والبقاع وغيرها"، والطِّيَرَةُ فيها نوعُ ادِّعاءِ عِلْمٍ للغَيْبِ، وربط لِما سَيَقَعُ في المستقبل ببعض الأحوال والذوات والأشخاص والصفات، ولذا عدَّها النبيُّ ﷺ شِرْكًا فقال: "الطِّيَرَةُ شِرْكٌ، الطِّيَرَةُ شِرْكٌ، ثَلاثًا"[114].

6ـ التطير:

تعريفه:

قال الحكمي: " وَقَدْ رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي تَعْرِيفِ الطِّيَرَةُ حَدِيثَ الْفَضْلِ بْنِ الْعَبَّاسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا "إِنَّمَا الطِّيَرَةُ مَا أَمْضَاكَ أَوْ رَدَّكَ""[115]

فهي التشاؤُمُ بمَرئيٍّ، أو مسموعٍ، أو معلومٍ.

فالمَرئيُّ كأن يرى طيرًا فيَتشاءَمَ به مِثْلَ البُومةِ والغُرابِ.

([111]) مقال له بعنوان: حكم ما يسمى بعلم تحضير الأرواح.
([112]) حسنه الألباني في صحيح أبي داود (3905).
([113]) شرح رياض الصالحين.
([114]) صححه الألباني في صحيح أبي داود (3910).
([115]) معارج القبول (993/3).

والمسموعُ كأن يَهُمَّ بالقيامِ بأمرٍ، فيسمَعَ أحدًا يقولُ لآخَرَ: يا خَسْرانُ، أو يا خائِبُ، فيتشاءَمَ ويترُكَ الأمرَ.

والمعلومُ، كالتشاؤُمِ ببَعضِ الأيَّامِ، أو بعضِ الشُّهورِ، أو بعضِ السَّنَواتِ، فهذه أشياءُ لا تُرى ولا تُسمَعُ، ولكِنْ قد يُتشاءمُ بها.

حكمها:

هي من الشرك الأصغر، قال ابن رجب رحمه الله: "الطِّيَرةُ من أعمالِ أهلِ الشِّركِ والكُفرِ، وقد حكاها اللهُ تعالى في كتابِه عن قومِ فِرعَونَ، وقومِ صالحٍ، وأصحابِ القريةِ التي جاءها المرسَلون"[116] ، وقد تكون شركا أكبرا، قال ابن باز رحمه الله: " الطيرة من باب الشرك الأصغر، وقد تكون شركًا أكبر إذا اعتقد أن هذا المتطير به يتصرف، أو له تصرف في الكون دون الله، أو أنه ينفع أو يضر، أو صرف له شيئًا من العبادة، كأن يصرف شيئًا من العبادة لهذا الكواكب الذي يعتقد فيه"[117]

تنبيه:

قد تقع الطيرة من المسلم، قال ابن باز رحمه الله: " المقصود: أن الطيرة معروفة عند الجاهلية، وقد يتأثر بها الإنسان وهو مسلم، لكن يعالجه إذا وقع في قلبه شيء من هذا، لا يبالي، يجاهد نفسه حتى لا يعمل أعمال الجاهلية، ويقول عند ذلك: "اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت، ولا يدفع السيئات إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بك" ويمضي في سبيله."[118]

وأما التفاؤل فهو ليس من الطيرة، قال النبي ﷺ: " لا طِيَرَةَ وخَيْرُها الفَأْلُ قيلَ: يا رَسولَ اللهِ، وما الفَأْلُ؟ قالَ: الكَلِمَةُ الصَّالِحَةُ يَسْمَعُها أحَدُكُمْ"[119]

7- التمائم والرقى وحكمهما:

تعريفها:

الرقى: كَلِماتٌ يُعاذُ بها فتقرأ على المريض لرَفعِ البلاءِ أو دَفْعِه[120]

([116]) لطائف المعارف (ص71).
([117]) فتاوى نور على الدرب.
([118]) نفس المصدر.
([119]) رواه مسلم (2223).

التمائم: جمع تميمة، وهي كُلُّ ما يُعلَّقُ على المرضى أو الأطفالِ أو البهائِمِ أو غيرِها من تعاويذَ؛ لدَفْعِ البلاءِ أو رَفْعِه[121]

حكمهما:

أ- الرقى: هي على قسمين:

- رقية مشروعة: وهي ما كانت من القرآن والسنة والأدعية المشروعة، قال النووي: " قد نقلوا الإجماعَ على جوازِ الرُّقَى بالآياتِ وأذكارِ اللهِ تعالى"[122] ، ولها ثلاث شروط، قال ابن حجر: " أجمع العُلَماءُ على جوازِ الرُّقى عند اجتماعِ ثلاثةِ شُروطٍ: أن يكونَ بكلامِ اللهِ تعالى أو بأسمائِه وصفاتِه، وباللِّسانِ العَرَبيِّ أو بما يُعرَفُ معناه من غيرِه، وأن يَعتَقِدَ أنَّ الرُّقيةَ لا تؤثِّرُ بذاتِها، بل بذاتِ اللهِ تعالى"[123]\

- رقية ممنوعة: هي مالم يتوفر فيها شرط من الشروط المتقدمة، كأن كان فيها شرك، أو كانت بغير العربية، أو اعتقد تأثيرها بذاتها، قال ابن حجر: " مهما كان مِنَ الرُّقى يؤدِّي إلى الشِّركِ يُمنَعُ، وما لا يُعقَلُ معناه لا يؤمَنُ أن يؤدِّي إلى الشِّركِ؛ فيمتَنِعُ احتياطًا"[124] ، وقال المناوي في شَرحِ حديثِ [لا بأسَ بالرُّقَى ما لم يكُنْ فيه شِرْكٌ]: " أي: شيءٌ يوجِبُ اعتقادَ الكُفرِ، أو شيءٌ من كلامِ أهلِ الشِّركِ الذي لا يوافِقُ الأُصولَ الإسلاميَّةَ؛ فإنَّ ذلك محرَّمٌ، ومِن ثَمَّ منعوا الرُّقى بالعبرانيِّ والسريانيِّ ونحوِ ذلك مما جُهِلَ معناه؛ خَوفَ الوقوعِ في ذلك"[125]

ب - التمائم: هي من الشرك، إما الأصغر إن خلت من الشرك واعتقد أنها سبب غير مؤثر بذاته، أو الأكبر إن حوت شركيات أو اعتقد استقلالها بالتأثير، فهي بحسب ما يقوم بقلب العبد، قال ابن الجوزي: "إنَّ التمائِمَ مِنَ الشِّركِ، وهي خَرَزاتٌ كانت العَرَبُ تُعَلِّقُها على الصِّبيانِ يتَّقون بها العَينَ

([120]) انظر النهاية لابن الأثير (254/2).
([121]) انظر نفس المصدر (197/1).
([122]) شرح مسلم (68/14).
([123]) فتح الباري (195/10).
([124]) نفس المصدر.
([125]) فيض القدير (558/1).

بزَعْمِهم، فلمَّا أرادوا دَفْعَ المقادير بذلك كان شِرْكًا"[126] ، ففي الحديث: " مَن عَلَّق تميمةً فقد أشرَكَ"[127]

ولها صور عديدة، فمن صورها كتابة طلاسم وخياطتها في جيب من جلد، ثم تعليقها، ومنها يد على شكل خمس أصابع تُدفع بها العين، ومنها تعليق السبحة دفعا للعين، وكذا ناب الحيوان أو حدوة الحصان أو إطار السيارات، وغيرها كثير.

أما ما كان من القرآن، ففيه خلاف، قال سُلَيمانُ بنُ عبدِ اللهِ: "اعلَمْ أنَّ العُلَماءَ مِنَ الصَّحابةِ والتَّابعين فمَن بَعْدَهم اختَلَفوا في جوازِ تعليقِ التمائِمِ التي من القُرآنِ وأسماءِ اللهِ وصِفاتِه، فقالت طائفةٌ: يجوزُ ذلك، وهو قَولُ عبدِ اللهِ بنِ عَمرِو بنِ العاصِ وغَيرِه، وهو ظاهِرُ ما رُوِيَ عن عائشةَ، وبه قال أبو جعفرٍ الباقِرُ، وأحمدُ في روايةٍ، وحملوا الحديثَ على التَّمائِمِ الشِّركيَّةِ، أمَّا التي فيها القُرآنُ وأسماءُ اللهِ وصِفاتُه، فكالرُّقيةِ بذلك. قلتُ: وهو ظاهِرُ اختيارِ ابنِ القَيِّمِ. وقالت طائفةٌ: لا يجوزُ ذلك، وبه قال ابنُ مسعودٍ، وابن عبَّاسٍ، وهو ظاهِرُ قَولِ حُذَيفةَ، وعُقبةَ بنِ عامرٍ، وابنِ عكيمٍ، رَضِيَ اللهُ عنهم، وبه قال جماعةٌ مِن التابعينَ، منهم أصحابُ ابنِ مَسعودٍ، وأحمَدُ في روايةٍ اختارها كثيرٌ من أصحابِه، وجزم بها المتأخِّرون، واحتجُّوا بهذا الحديثِ وما في معناه؛ فإنَّ ظاهِرَه العمومُ، لم يُفَرِّقْ بين التي في القُرآنِ وغيرِها، بخِلافِ الرُّقى؛ فقد فَرَّق فيها، ويؤيِّدُ ذلك أنَّ الصَّحابةَ الذين رَوَوا الحديثَ فَهِموا العُمومَ"[128] ، وكذلك يمنع منها سدا لذريعة الوقوع في الشرك، وصيانة للقرآن من الإهانة.

8- التوسل[129]:

تعريفه:

لغة: مأخوذ من الوسيلة، والوسيلة في اللغة: هي ما يتقرب بها إلى الغير.

شرعا: ما جعله الشارع من الأسباب التي يتوصل بها إلى تحقيق المقصود.

أقسامه الكونية والشرعية:

([126]) غريب الحديث (112/1).
([127]) أخرجه أحمد (17422) وغيره، وصححه الألباني في صحيح الجامع (6394).
([128]) تيسير العزيز الحميد (ص134).
([129]) من مختصر محمد ناهض لكتاب التوسل أنواعه وأحكامه للألباني.

- **الوسيلة الكونية:** كل سبب طبيعي يوصل إلى المقصود بخلقته التي خلقه الله عليها، كالدواء وسيلة للشفاء.

وهذه يشترك في معرفتها المؤمن والكافر، عكس الوسيلة الشرعية، وطريق معرفتها التجربة والحواس.

ويشترط لجواز استعمالها: أن تكون مباحة، فمنها ما هو مباح كالبيع والشراء وسائل لتحصيل الرزق، ومنها ما هو محرم كالربا، وأن تكون محققة للمطلوب.

- **الوسيلة الشرعية:** كل سبب يوصل إلى المقصود عن طريق ما شرعه الله تعالى، كالصدقة وسيلة لتكفير الخطيئة، وهذه خاصة بالمؤمنين، وطريق معرفتها الشرع.

ـ وتشمل الوسيلة الشرعية أنواعا[130]

النوع الأول: التوسل بصفات الله، وهو مشروع؛ لقوله تعالى: {وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا}، والأحاديث في ذلك كثيرة.

النوع الثاني: التوسل بالإيمان الصحيح الصادق، وهو مشروع؛ لما فيه من تقوية التوحيد، وله أمثلة، منها ما حكاه الله عن أولي الألباب: {رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ}

النوع الثالث: توسل الداعي بطاعته وصالح عمله، وهو مشروع لما فيه من تغذية الخشوع المناسب للموضوع، وله أمثلة: منها: حديث الصخرة في " الصحيحين "؛ أَنَّهُ ﷺ قَالَ: «انْطَلَقَ ثَلاَثَةُ نَفَرٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، حَتَّى آوَاهُمُ الْمَبِيتُ إِلَى غَارٍ، فَدَخَلُوهُ، فَانْحَدَرَتْ صَخْرَةٌ مِنَ الْجَبَلِ فَسَدَّتْ عَلَيْهِمُ الْغَارَ، فَقَالُوا: إِنَّهُ لاَ يُنْجِيكُمْ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ إِلاَّ أَنْ تَدْعُوا اللَّهَ بِصَالِحِ أَعْمَالِكُ ...»

النوع الرابع: التوسل بحال العبد، من ضعف وقلة حيلة وفقر، ومنه قوله تعالى:" قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ـ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا"

النوع الخامس: تَوسُّل المرء بدعاء غيره، وهو على وجهين:

([130]) انظر رسالة الشرك ومظاهر للمبارك الميلي (193/1).

أحدهما: أن تكتفي عن دعائك بدعاء من سألته الدعاء، وهذا تقدم في فصل الدعاء، وأنه مأذون فيه، ما لم يكن ذريعة إلى منهي عنه؛ كسؤال الدعاء من الميت والغائب؛ لما فيه من مظنة الاعتقاد بعلم الغيب.

والوجه الثاني: أن تسأل الدعاء من الحي الحاضر، فيدعو لك، وتتوجه أنت إلى الله داعياً متوسلاً بدعائه، وهو مشروع لحديث الأعمى عند أحمد والنسائي، والترمذي وصححه، وهو أن رجلاً ضريرا جاء إلى النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يسأله الدعاء ليرد الله عليه بصره، فخيره بين الصبر ودعائه له، فأصر على اختيار دعاء رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، فأمره بالوضوء وصلاة ركعتين، ثم الدعاء بهذا اللفظ: «اللَّهُمَّ! إِنِّي أَسْأَلُك وَأَتَوَجَّهُ إِلَيْك بِنَبِيِّك مُحَمَّدٍ، نَبِيِّ الرَّحْمَةِ، يَا مُحَمَّدُ! إِنِّي أَتَوَجَّهُ بِكَ إِلَى رَبِّي فِي حَاجَتِي هَذِهِ لِتُقْضَى لِي، اللَّهُمَّ! فَشَفِّعْهُ فِيَّ»، ونظير حديث الأعمى ما رواه البخاري في " صحيحه " من استسقاء عمر بالعباس، وقوله: " اللَّهُمَّ! إِنَّا كُنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّنَا، فَتَسْقِينَا، وَإِنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِعَمِّ نَبِيِّنَا؛ فَاسْقِنَا "

ـ وأما الوسيلة الممنوعة: وهي ما كانت بما لم يرد به الشرع، وهي أنواع:

<u>النوع الأول:</u> التَّوسُّلُ إليه تعالى بذاتِ وشَخصِ المُتوسَّلِ به، قال تعالى: " وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى"، فلا شيء غير الإيمان والعمل الصالح يقرب إلى الله، قال سليمان بن عبد الله: " واعلَمْ أنَّ التوسُّلَ بذاتِ المخلوقِ أو بجاهِه غيرُ سؤالِه ودُعائِه؛ فالتوسُّلُ بذاتِه أو بجاهِه أن يقولَ: اللَّهُمَّ اغفِرْ لي، وارحَمْني، وأدخِلْني الجنَّةَ بنبيِّك محمَّدٍ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، أو بجاهِ نبيِّك محمَّدٍ، ونحوِ ذلك، فهذا بِدعةٌ ليس بشِركٍ."[131]

<u>النوع الثاني:</u> التَّوسُّلُ إلى اللهِ تعالى بجاهِ فُلانٍ، أو حَقِّه، أو حُرْمتِه، وما أشبَهَ ذلك، قال سليمان بن عبد الله: " وأمَّا التوسُّلُ بجاهِ المخلوقين، كمن يقولُ: اللهُمَّ إني أسألُك بجاهِ نبيِّك محمَّدٍ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، ونحوِ ذلك، فهذا لم يُنقَلْ عن النبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، وأكثَرُ العُلَماءِ على النَّهيِ عنه، وحكى ابنُ القَيِّمِ رحمه اللهُ تعالى أنَّه بدعةٌ إجماعًا"[132] ، وقال ابن أبي العز: "فإنْ قيلَ: فأيُّ فَرقٍ بين قَولِ الدَّاعي: «بحَقِّ السَّائلينَ عليك «وبين قَولِه: «بحَقِّ نَبيِّك» أو نحوَ ذلك؟ فالجوابُ: أنَّ معنى قَولِه: بحَقِّ السَّائلينَ عليك: أنَّك وعَدْتَ السَّائلينَ بالإجابةِ، وأنا من جملةِ السَّائلين؛ فأَجِبْ دُعائي، بخِلافِ قَولِه: بحَقِّ فلانٍ؛ فإنَّ فُلانًا وإن كان له حَقٌّ على اللهِ بوَعْدِه الصَّادِقِ، فلا مناسبةَ بين ذلك

([131]) الدرر السنية (2/160، 166).

([132]) نفس المصدر.

وبين إجابةِ دُعاءِ هذا السَّائِلِ، فكأنَّه يقولُ: لكَونِ فلانٍ من عبادِك الصَّالحينَ أجِبْ دُعائي! وأيُّ مُناسبةٍ في هذا وأيُّ مُلازمةٍ؟"[133] ، فحق الله فضل منه أوجبه على نفسه لا يوجبه عليه أحد، ثم إنه خاص بصاحبه لا علاقة له بغيره.

النوع الثالث: الإقسامُ على اللهِ جَلَّ وعلا بالمُتوسَّلِ به، قال ابن أبي العز: " إن كان مرادُه الإقسامَ على اللهِ، فذلك محذورٌ أيضًا؛ لأنَّ الإقسامَ بالمخلوقِ على المخلوقِ لا يجوزُ، فكيف على الخالِقِ؟!"[134] ، وقال ابن تيمية: " الإقسامُ على اللهِ سُبحانَه وتعالى به، وهذا مَنهيٌّ عنه عند جماهيرِ العُلَماءِ، كما تقَدَّمَ، كما يُنهى أن يُقسَمَ على اللهِ بالكَعْبةِ والمشاعِرِ، باتِّفاقِ العُلَماءِ"[135]

المخالفون لأهل السنة والجماعة في التوسل والرد عليهم:

ـ تدور الأدلة التي يستدل بها المخالفون في هذا الباب على ثلاث أحوال:

الأولى: أن يكون الدليل صحيحا، لكن لا يدل على ما استدلوا به:

- فمن ذلك استدلالهم بقوله تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ"، أنها تشمل التوسل بالذوات: والرد عليهم من وجوه:

ـ الأول: أن المقصود بالآية هو التوسل بما شرع الله عزوجل، وليس فيها التوسل بالذوات، فعن قتادة قال: "تقربوا إليه بطاعته والعملِ بما يرضيه"[136]

ـ الثاني: أن تقديم الجار والمجرور (إليه) على متعلقه (الوسيلة) يدل على الاختصاص، أي اطلبوا القربة إلى الله وحده لا إلى غيره.

ـ الثالث: وردت الوسيلة حكاية عن الأنبياء في قوله تعالى: "أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ"، ويدل على شدة القرب والافتقار إلى الله تعالى.

([133]) شرح الطحاوية (296/1).
([134]) نفس المصدر (ص297)
([135]) مجموع الفتاوى (222/1).
([136]) رواه ابن جرير في تفسيره.

- ومن ذلك استدلالهم باستسقاء عمر بالعباس، فعن أنس رضي الله عنه أَنَّ عُمَرَ بنَ الخَطَّابِ رَضيَ اللهُ عنه كانَ إذَا قَحَطُوا اسْتَسْقَى بالعَبَّاسِ بنِ عبدِ المُطَّلِبِ، فقالَ:" اللَّهُمَّ إنَّا كُنَّا نَتَوَسَّلُ إلَيْكَ بنَبِيِّنَا فَتَسْقِينَا، وإنَّا نَتَوَسَّلُ إليكَ بعَمِّ نَبِيِّنَا فاسْقِنَا"، قالَ: "فيُسْقَوْنَ"[137] ، على جواز التوسل بالذوات والاستشفاع بها: والرد عليهم من وجوه:

ـ الأول: أن الصحابة كانوا يذهبون إلى النبي ﷺ ويسألونه الدعاء، ولم يرد أن أحدا منهم توسل به أو بجاهه وهو بعيد عنه في بيته.

ـ الثاني: أن هذا من التوسل المشروع، فهو طلب الدعاء من حي حاضر، ثم سؤال الله بدعاء هذا الصالح، وفي عدول عمر عن التوسل برسول الله ﷺ إلى العباس دليل على أن المراد هو الدعاء، ومما يدل على ذلك أيضا تصريح عمر بأن التوسل بالنبي ﷺ كان في حياته، وأن توسله بالعباس كان بعد مماته.

ـ الثالث: جاء ما يفسره من بعض الطرق أن الصحابة كانوا يستسقون بالنبي ﷺ فيستسقي لهم فيسقون، فهو صرح أنه ﷺ كان يطلب السقيا لهم من الله تعالى.

- ومثل استدلالهم هذا، استدلالهم بحديث أنه كان ﷺ يستفتح بصعاليك المهاجرين، فهو مع ضعفه لا يدل إلا على ما دل عليه حديث عمر والضرير، من التوسل بدعاء الصالحين.
- ومن ذلك استدلالهم أن الناس يوم القيامة يستغيثون بالأنبياء، على جواز الاستغاثة بهم في الدنيا: والرد عليهم أن نقول:

ـ أن هذا كائن في يوم القيامة، حال كونهم أحياء حاضرين قادرين، عكس ما يحصل منكم من استغاثة بالمقبورين.

- ومن ذلك استدلالهم بالآية: "وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا"، على جواز التبرك بالنبي ﷺ وهو غائب، والرد عليهم من وجوه:

ـ الأول: أن هذا ليس فيه توسل بذات النبي ﷺ، وإنما كانوا يتوعدون أعدائهم بالظفر عليهم باتباع ذلك النبي الموعود.

([137]) أخرجه البخاري (1010).

ـ الثاني: على فرض أنهم توسلوا بذات النبي ﷺ، فهذا ليس دليلا على مشروعيته، فهو إخبار عن حالهم، وقد يكون تأخيرا للبيان عن وقت الحاجة لورود ما يغني عن ذلك في غير هذا الموضع من أدلة محكمة تنهى عنه، كما في قوله تعالى: "فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا".

الثانية: أن يكون الدليل ضعيفا أو في صحته خلاف، ولا يدل على ما استدلوا به:

- فمن ذلك استدلالهم بحديث الضرير الذي طلب من النبي ﷺ الدعاء له، ثم توجه إلى الله بدعاء النبي ﷺ على جواز التوسل بالذات[138]: والرد عليهم من وجوه:

ـ الأول: أنه محل خلاف بين أهل العلم في صحته.

ـ الثاني: أنه لو صح فهو في التوسل المشروع، كما في استسقاء عمر بالعباس، فهو طلب الدعاء من حي حاضر، ثم سؤال الله بدعائه، فهو لا يدل أبدا على التوسل بالذوات.

ـ الثالث: أن النبي ﷺ خيره بين الدعاء له أو التأخير، فدل على أن التوسل هنا هو في طلب الدعاء، ويؤكد ذلك قوله: "فشفعه في"، فمراده إجابة دعاء النبي ﷺ.

الثالثة: أن يكون الدليل يدل على ما استدلوا به من التوسل الممنوع، لكنه موضوع:

- من ذلك حديث: "توسلوا بجاهي فإن جاهي عظيم"، و"إذا أعيتكم الأمور فعليكم بأهل القبور"، و" لو أحسن أحدكم ظنه بحجر لنفعه الله به"، و" اللهم إني أسألك بحق السائلين إليك"، و"اغفر لأمي فاطمة بنت أسد، ولقنها حجتها، ووسع مدخلها، بحق نبيك والأنبياء الذين من قبلي"، وغيرها.
- ويستدلون بحديث سؤال آدم بحق محمد ﷺ، ففيه: " لما اقترف آدمُ الخطيئة، قال: يا ربِّ أسألُك بحقِّ محمدٍ لما غفرتَ لي، فقال: يا آدمُ !وكيف عرفتَ محمدًا ولم أخلُقْهُ؟ قال يا ربِّ لمَّا خلقْتني بيدِك، ونفختَ فيَّ من روحِك رفعتُ رأسي، فرأيتُ على قوائمِ العرشِ مكتوبًا: لا إلهَ إلا اللهُ محمدٌ رسولُ اللهِ، فعلمتُ أنك لم تُضِفْ إلى اسمِك إلا أحبَّ الخلقِ إليك،

(138) راجع كتاب التوسل للألباني.

فقال: غفرتُ لك، ولولا محمدٌ ما خلقتُك"[139] ، على جواز سؤال الله بحقه ﷺ وقاسوا عليه غيره: والرد عليهم من وجوه:

ـ الأول: أن الحديث ضعفه أهل العلم، بل حكموا عليه بالوضع.

ـ الثاني: أن الحديث مخالف لما ورد في القرآن من كلمات آدم في قوله تعالى: "فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ"، فقد جاء بيانها في آية الأعراف: "قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ"، ولم يرد أبدا سؤاله بحق محمد في قرآن ولا سنة.

ـ الثالث: مخالفة لفظه للقرآن، حيث قال: "ولولا محمد ما خلقتك"، فمخالفته للغاية من الخلق ظاهرة لا تخفى، قال تعالى: "وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ".

الرابعة: أن يكون الدليل مبنيا على قياسات عقلية فاسدة:

- من ذلك ما تقدم من قولهم أن الشرك هو من اعتقد الخلق والرزق في المعبود، أما مجرد صرف العبادة دون اعتقاد ذلك فليس بشرك، ومعلوم أن هذا هو قول الكفار سواء بسواء، فهم كانوا مقرين بالربوبية عموما، كما قال سبحانه: " وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ"، فشركهم كان في صرف العبادة لغير الله، وهذا هو ما أرسلت لأجله الرسل وأبيحت له الدماء.

9ـ التبرك:

تعريفه:

التبرك لغة: مأخوذ من البركة، والمتبرك هو الذي يطلب ثبوت الخير عنده أو له، ويقال أيضاً: إن المتبرك يطلب الزيادة والنماء، إذ البركة زيادة الخير، وهي بيد الله وحده.

أقسامه:

- قسم مشروع: وهو التبرك بما دل الدليل أنه مبارك، بذات النبي ﷺ، ولا ذات مباركة إلا ذاته، وبالأقوال كذكر الله والقرآن، والأماكن كالحرمين، والأزمان كرمضان والثلث الأخير من الليل، ومجالس العلم، وشرب كزمزم وزيت الزيتون، وأكل كالحبة السوداء، وبعض الهيئات كالسفر والصوم والسجود.

([139]) رواه البيهقي (489/5)، وهو موضوع، انظر السلسة الضعيفة للألباني (25).

قال ابن عثيمين رحمه الله: " وطلب البركة لا يخلو من أمرين:

1. أن يكون التبرك بأمر شرعي معلوم; مثل القرآن، قال تعالى: {كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ}، فمن بركته أن من أخذ به حصل له الفتح، فأنقذ الله بذلك أمما كثيرة من الشرك، ومن بركته أن الحرف الواحد بعشر حسنات، وهذا يوفر للإنسان الوقت والجهد....، إلى غير ذلك من بركاته الكثيرة.

2. أن يكون بأمر حسي معلوم; مثل: التعليم، والدعاء، ونحوه; فهذا الرجل يُتَبَرَّكُ بعلمه ودعوته إلى الخير; فيكون هذا بركة لأننا نلنا منه خيرا كثيرا"[140]

تنبيه: ينبغي أن يراعى في التبرك كل من المتبرَّك به، وطريقة التبرك، فلا بد أن يكون كلاهما موافقا لما ورد في الشرع

- قسم ممنوع: ومنه الشركي والبدعي:

ـ الشركي: وهو أن يعتَقِدَ المتبرِّكُ أنَّ المخلوقَ المتبرَّكَ به يَهَبُ البرَكَةَ بنَفْسِه، أو أن يَطلُبَ منه الخيرَ والنَّماءَ فيما لا يَقدِرُ عليه إلَّا اللهُ تعالى.

ـ البدعي: هو ما لم يرد شرع بثبوته، إما فيما يتعلق بالمتبرك به، كآثار الصالحين والقبور وغيرها، أو طريقة التبرك كمن يتبرك بالمسجد النبوي بالتمسح به أو يحك ثوبه بالكعبة، أو كليهما كمن يتمسح بقبر ولي أو يشرب مما بصق فيه شيخه وغير ذلك.

ومعلوم أن اعتقاد مالم يجعله الله سببا أنه سبب: شرك أصغر، ومنها مسح وتقبيل قبر النبي ﷺ، وأداء عبادات معينة عنده، والتبرك بالصالحين وملابسهم، وبعض الأزمنة كعيد المولد وغيره.

قال ابن باز رحمه الله: " لا يجوز التبرك بأحد غير النبي ﷺ لا بوضوئه ولا بشعره ولا بعرقه ولا بشيء من جسده، بل هذا كله خاص بالنبي ﷺ لما جعل الله في جسده وما مسه من الخير والبركة. ولهذا لم يتبرك الصحابة بأحد منهم، لا في حياته ولا بعد وفاته ﷺ"[141]

شبهات حول التبرك:

ـ عموما فإنه يُردّ على من يُجوّز التبرك على غير ماورد، بستة أمور:

([140]) القول المفيد (194/1).

([141]) مجموع فتاوى ومقالات الشيخ ابن باز (45/7).

أولا: أحاديث النهي عن التبرك، ومنها نهيه عن اتخذا القبور مساجد، قال ﷺ: "أَلَا وإِنَّ مَن كانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ وصَالِحِيهِمْ مَسَاجِدَ، أَلَا فلا تَتَّخِذُوا القُبُورَ مَسَاجِدَ، إِنِّي أَنْهَاكُمْ عن ذلكَ"[142]

ثانيا: أن النبي ﷺ لم يرشد أمته لا إلى ما تتبركون به ولا إلى طريقة تبرككم، ولم يدلهم على ذلك، ومعلوم أنه ما ترك خيرا إلا دلنا عليه.

ثالثا: تلك التبركات لم تكن من فعل الصحابة ولا التابعين وهم خير القرون، وقبر النبي ﷺ كان بينهم، ولم يفعلوا ما تفعلون.

رابعا: اتفاق العلماء على النهي عن التمسح بالقبر وتقبيله، ذكره ابن تيمية[143]

خامسا: أن مبدأ الشرك في البشرية كان من جهة القبور والتبرك بها، كما في أمر الشيطان لقوم نوح: " أنِ انْصِبُوا إلى مَجَالِسِهِمُ الَّتي كَانُوا يَجْلِسُونَ أنْصَابًا، وسَمُّوهَا بأَسْمَائِهِمْ"[144] ، أي تخليدا لذكراهم واعترافا بفضلهم وتبركا بحالهم.

سادسا: أن التبرك ذريعة إلى صرف العبادة للمتبرك به، كما آل إليه حال كثير من المتبركين، وهذا مما لا يخفى.

- فمن ذلك أنهم يستدلون بأمر عائشة رضي الله عنها بفتح كوة قبر النبي ﷺ عند الاستسقاء، قال أبو الجوزاء أوس بن عبد الله الأزدي: " قُحِطَ أَهلُ المدينةِ قَحطًا شديدًا فشَكَوا إلى عائشةَ رضيَ اللَّهُ عنها فقالت انظُروا قبر النَّبي صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ فاجعلوا منهُ كُوًى إلى السَّماءِ حتَّى لا يَكونَ بينَه وبينَ السَّماءِ سقفٌ ففعلوا فمُطِروا مَطرًا حتَّى نبتَ العشبُ وسمِنتِ الإبلُ حتَّى تفتَّقتْ منَ الشَّحمِ فسمِّيَ عامَ الفتقِ"[145] ، على جواز التبرك بقبره ﷺ: والرد عليهم من وجوه:

ـ الأول: هو أن الخبر غير صحيح، فقد ضعفه أهل العلم[146]

([142]) رواه مسلم (532).
([143]) مجموع الفتاوى (79/27، 80).
([144]) رواه البخاري من حديث ابن عباس (4920).
([145]) رواه الدارمي (56/1) برقم (92).
([146]) انظر تلخيص كتاب الاستغاثة (163/1)، والتوسل للألباني (ص128).

ـ الثاني: ليس في هذا الحديث دليل على جواز الاستغاثة بالنبي ﷺ، وغاية ما فيه إثبات كرامة للنبي ﷺ بعد موته، ولا يعني ذلك جواز أن يذهب المسلمون إليه ليستغيثوا به وهو في قبره أو يتمسحوا به.

ـ الثالث: أنه لم يكن للقبر كوة في زمن عائشة رضي الله عنها، قال ابن تيمية: "ومما يبين كذب هذا أنه في مدة حياة عائشة رضي الله عنها لم يكن للبيت كوة، بل كان باقياً كما كان على عهد النبي صلى الله عليه وسلم، بعضه مسقوف وبعضه مكشوف، وكانت الشمس تنزل فيه كما ثبت في الصحيحين"[147]

- ويستدلون بغير ذلك من الأحاديث الضعيفة، كتبرك فاطمة بقبر النبي ﷺ، وتمسح بلال بالقبر، وفضل الشرب من فضل وضوء المؤمن وغيرها، وكلها مما ضعفه أهل العلم.
- ويستدلون بطلب عمر رضي الله عنه الدفن بجوار النبي ﷺ على جواز التبرك بقبره: والرد عليهم أن نقول:

ـ أن ذلك من باب طلب المجاورة والمصاحبة لمن كان أهل مجاورته ومصاحبته في الدنيا، ولا دليل فيه أبدا على ما تفعلونه مع القبور من تمسح وأخذ للتراب تبركا وغيره.

- ويقيسون غير النبي ﷺ عليه لتجويز التبرك بالصالحين وآثارهم: والرد عليهم من وجوه:

ـ الأول: أنه من المعلوم من الدين بالضرورة أن النبي ﷺ ليس كغيره، فقد خصه الله بخصائص تميزه عن غيره، فلا يصح هذا القياس.

ـ الثاني: أن التبرك بآثاره ﷺ مما ورد به الشرع، ولو كان سائغا في غيره لورد به الشرع كذلك.

ـ الثالث: أن الصحابة ما تبركوا بأثر أحد بعد النبي ﷺ، وقد كان فيهم خير عباد الله بعد الأنبياء.

ـ الرابع: أن التبرك بآثار الصالحين سبب للغلو فيهم، بل يؤدي إلى الوقوع في الشرك، وهذا مما لا يخفى على أحد، أنه قل ـ إن لم نقل عُدم ـ من يكتفي بمجرد التبرك دوت صرف للعبادة.

- ويستدلون بالتابوت الذي كان يتبرك به بنو إسرائيل في قوله تعالى: "وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ" على جواز التبرك كذلك: والرد عليهم أن نقول:

([147]) نفس المصدر السابق.

ـ أن ذلك التابوت جعل الله لهم فيه خاصية، فتبركهم به كان عن وحي من الله تعالى.

- ويستدلون باتخاذ مقام إبراهيم مصلى لوجود آثاره فيه: والرد عليهم أن نقول:

ـ أن مرد اتخاذ المقام مصلى هو الدليل الشرعي، وليس لذات أثر إبراهيم، ولذلك كان عمر ينهى عن الصلاة في المواضع التي صلى فيها النبي ﷺ [148]

- ويستدلون بأن الصحابة يأخذون أطفالهم إلى النبي ﷺ لتحنيكهم: والرد أن نقول:

ـ أولا: أن الصحابة لم يكونوا يفعلون ذلك إلا مع النبي ﷺ، فهو خاص به.

ـ ثانيا: أن التمر نفسه مراد بالتحنيك لما فيه من الفوائد والبركة.

10- الأعياد البدعية والشرعية:

تعريف العيد:

الموسِمُ، وكلُّ يومٍ فيه جَمْعٌ؛ فهو اسمٌ لِمَا يعودُ من الاجتماعِ العامِّ على وجهٍ مُعتادٍ، عائدٍ بعودِ السَّنةِ، أو بعودِ الشَّهر، أو الأُسبوع، أو نحو ذلِك[149]

أقسام الأعياد:

ذكر ابن تيمية رحمه الله أنها تنقسم إلى زمانية ومكانية، فقال رحمه الله: "فصل قد تقدم أن العيد يكون اسمًا لنفس المكان، ولنفس الزمان، ولنفس الاجتماع. وهذه الثلاثة قد أحدث منها أشياء:

- أما الزمان فثلاثة أنواع:

ـ أحدها: يوم لم تعظمه الشريعة أصلًا، ولم يكن له ذكر في السلف، ولا جرى فيه ما يوجب تعظيمه: مثل أول خميس من رجب، وليلة تلك الجمعة التي تسمى الرغائب

ـ النوع الثاني: ما جرى فيه حادثة كما كان يجري في غيره، من غير أن يوجب ذلك جعله موسمًا، ولا كان السلف يعظمونه: كثامن عشر ذي الحجة الذي خطب النبي صلى الله عليه وسلم فيه بغدير خم مرجعه من حجة الوداع

([148]) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (151/2) وغيره.

([149]) انظر: ((الصحاح)) للجوهري (515/2)، ((اقتضاء الصراط المستقيم)) لابن تيمية (496/1).

ـ النوع الثالث: ما هو معظم في الشريعة: كيوم عاشوراء، ويوم عرفة، ويومي العيدين والعشر، الأواخر من شهر رمضان والعشر الأول من ذي الحجة، وليلة الجمعة ويومها، والعشر الأول من، المحرم، ونحو ذلك من الأوقات الفاضلة

وقد يحدث في اليوم الفاضل، مع العيد العملي المحدث، العيد المكاني، فيغلظ قبح هذا، ويصير خروجا عن الشريعة فمن ذلك: ما يفعل يوم عرفة، مما لا أعلم بين المسلمين خلافا في النهي عنه، وهو قصد قبر بعض من يحسن به الظن يوم عرفة، والاجتماع العظيم عند قبره

- وأما الأعياد المكانية فتنقسم أيضا كالزمانية ثلاثة أقسام:

أحدها: مكان لا فضل له في الشريعة أصلا، ولا فيه ما يوجب تفضيله، بل هو كسائر الأمكنة، أو دونها، فقصد ذلك المكان، أو قصد الاجتماع فيه لصلاة أو دعاء، أو ذكر، أو غير ذلك ضلال بين

النوع الثاني من الأمكنة: ما له خصيصة لكن لا يقتضي اتخاذه عيدا، ولا الصلاة ونحوها من العبادات عنده. فمن هذه الأمكنة: قبور الأنبياء والصالحين، وقد جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم، والسلف النهي عن اتخاذها عيدا، عموما وخصوصا. وبينوا معنى العيد

والثالث: ما يشرع العبادة فيه، لكن لا يتخذ عيدا"[150]، وإنما يتعبد الله فيه وفق الشريعة، كالمساجد.

حكم الأعياد:

ـ أما المشروع منها فهي ثلاث أعياد شرعها الله لنا، يوم الجمعة، وعيد الفطر وعيد الأضحى، قال النبي ﷺ: "قدْ أبْدَلكم اللهُ تعالى بهما خيرًا منهما؛ يومَ الفِطرِ والأضحى"[151]

ـ وأما الممنوع: فهي كل عيد غير المشروعة المتقدمة، ومنها عيد الميلاد، وعيد الأم، وعيد المسيح، وعيد المولد، وأعياد رأس السنة.

قال ابن باز رحمه الله: "ومما أحدث الناس اليوم بدعة عيد الأم، عيد فلان، عيد فلانة، تشبه بأعداء الله، هذه الأعياد تشبه بالنصارى واليهود، هم أهل الأعياد، وليس لنا إلا عيدان نحتفل بهما: عيد الأضحى، وعيد الفطر، وليس لنا أن نحدث احتفالات بأعياد أخرى .... فالذين يحدثون أعيادًا ما أنزل الله بها من سلطان إنما كانوا بهذا في الحقيقة معارضين ومشاقين لما شرعه الله ورسوله،

([150]) اقتضاء الصراط المستقيم (2/121 - 170).

([151]) رواه أبو داود (1134) وغيره، وصحَّحه الألباني في ((صحيح سنن أبي داود)) (1134).

ومتشبهين بأعداء الله من اليهود والنصارى فيما أحدثوا من الأعياد الباطلة التي لا أساس لها في شرعنا، بل غيروا وبدلوا وأحدثوا، فغضب الله عليهم سبحانه وتعالى، فعلينا أن نحذر أن يغضب الله علينا كما غضب عليهم في الإحداث والبدع والمعاصي والمخالفات"[152]

(152) التعليقات على ندوات الجامع الكبير

ثالثا: أصول أهل السنة والجماعة
في الرد على المخالفين في توحيد الألوهية

1ـ مظاهر الشرك وصوره القديمة والحديثة:

فمن القديم: عبادة الأوثان والحجارة والأشجار والملائكة والجن والكواكب والنجوم.

ومن الحديث: إضافة إلى ماسبق: عبادة القبور والأولياء والصالحين والحيوانات كالبقر وغيرها، ومنها بعض الشركيات المعاصرة التي تقدم ذكرها.

2ـ قواعد في الرد على المخالفين في توحيد الألوهية:

أـ دعاء العبادة مستلزم لدعاء المسألة ودعاء المسألة متضمن لدعاء العبادة: للرد على من زعم أن صرف دعاء المسألة لغير الله ليس بشرك، لأن الشرك الوارد في النصوص هو دعاء العبادة، وهذا غير صحيح، فإن دعاء المسألة نفسه عبادة كما في الحديث: "الدعاء هو العبادة"[153] ، وتقدم أن الله كفر المشركين الأولين لشركهم في العبادة، فالنصوص تتناول النوعين، لكنها قد تكون ظاهرة الدلالة في نوع دون آخر.

ب ـ دين الإسلام مبني على أصلين، عبادة الله وحده، وضده الشرك، وعبادته بما شرع، وضده البدعة.

ج ـ صرف أي نوع من العبادة لغير الله شرك، سواء قلبية أو عملية.

د ـ الأصل في العبادات التوقيف، لا يشرع منها إلا ما شرعه الله.

هـ ـ الألوهية تتضمن الربوبية، والربوبية تستلزم الألوهية.

و ـ التوحيد الذي أرسل الله لأجله الرسل هو توحيد الألوهية.

ز ـ قصد زمان أو مكان معين متوقف على الشرع.

ح ـ مشروعية الشيء بأصله، لا تستلزم مشروعيته بوصفه، فلا يستدل بدليل الأصل عن صفات محدثة مبتدعة.

([153]) صححه الألباني في صحيح الترمذي (388/2).

ط ـ الانتفاع بالشهادتين، إنما يكون بتوفر شروطها، وانتفاء نواقضها.

ي ـ شرك الألوهية فرع عن شرك الربوبية.

ك ـ الشفاعة لله وحده، ولا تكون إلا بإذنه ورضاه، ولا تطلب إلا منه.

ل ـ سد الذرائع في الشرك حماية للتوحيد أولى من غيره.

م ـ يشترط للاستعانة أو الاستغاثة من المخلوق أن يكون حيا حاضرا قادرا.

ن ـ لا يكون التوحيد إلا بالكفر بكل ما يعبد من دون الله.

س ـ لا يتم التوحيد إلا بتجريد المتابعة للنبي ﷺ.

3ـ شبهات في توحيد الألوهية والرد عليها:

- يقولون أن من نطق الشهادتين لا يجوز تكفيره: والرد عليهم من وجوه كثيرة نذكر منها:

ـ الأول: أن الشهادتين لهما شروط، من لم يأت بها لم يسم مسلما، كمن نطق بها وصدقها لكنه لم يقبل الشرع، ولها نواقض قد تقدمت.

ـ الثاني: أن من شروطها البراء من الشرك وأهله، ولا يؤمن من لم يتبرأ من ذلك ولو نطق الشهادتين.

ـ الثالث: أن الصحابة كفروا أهل الردة، وقاتلوهم واستحلوا دمائهم، مع أنهم كانوا ينطقون الشهادتين.

- ويقولون أن المشركين الأولين كذبوا النبي ﷺ ولم يقروا بالبعث، أما نحن فنصدقه ونقر بالبعث: والرد عليهم أن نقول:

ـ لا يلزم للردة الكفر بكل الإسلام أو بكل الشرع، بل يكفر بمجرد مخالفة شيء مما جاء به الرسول ﷺ، كمن استحل الزنا أو الربا، أو استهزأ بشيء من الدين.

- ويستدلون بفعل آبائهم، وأنهم وجدوهم على هذه الحال فاتبعوهم، والرد عليهم أن نقول:

ـ أن هذه هي ذات حجة المشركين الأولين الذين كفرهم الله في كتابه، كانوا يقولون: "بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ"، ولم تغن عنهم هذه الحجة، بل دمرهم الله عزوجل وعاقبهم لكفرهم.

- ويعرفون الشرك بأنه ما كان في الربوبية، وأنه هو شرك الأولين، لاعتقادهم الضر والنفع في آلهتهم، أما مجرد الاستغاثة والدعاء وطلب الحوائج فليست عندهم شركا: والرد عليهم من وجوه:

ـ الأول: أن شرك الأولين كان في الألوهية، فقد كان الناس على التوحيد عشرة قرون، حتى وقع الشرك في قوم نوح، وكان شركهم اتخاذ وسائط بينهم وبين الله، فكان في الغلو في الصالحين، ولذلك دعاهم نوح أن اعبدوا الله مالكم من إله غيره، ولم يدعهم إلى الإقرار بالربوبية.

ـ الثاني: أن قصص القرآن تقوم على دعوة الرسل أقوامهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، أما توحيد الربوبية فلم يُنكر إلا استكبارا كما وقع من فرعون، بل وكان الرسل يحتجون عليهم بإقرارهم بالربوبية كما هو معلوم.

ـ الثالث: أن مشركي قريش كانوا يقولون أنهم ما يعبدون أصنامهم إلا من أجل الشفاعة والقربى، "مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ"، لا أنهم كانوا يعتقدون فيهم الشركة في الخلق.

- قولهم أن الشرك لا يقع في هذه الأمة، مستدلين بنصوص فضلها، كقوله ﷺ: " لا يجمعُ اللهُ أمَّتي على ضلالةٍ أبدًا"[154] وفضل كلمة الشهادتين، كقوله ﷺ: "مَن شَهِد أن لا إله إلا اللهُ دخل الجنةَ"[155]، وحديث: "إنَّ الشَّيْطانَ قدْ أيِسَ أنْ يَعْبُدَهُ المُصَلُّونَ في جَزِيرَةِ العَرَبِ..."[156] وغيرها، والرد عليهم من وجوه:

ـ الأول: أن المراد نفي وقوع عموم الأمة في الشرك، أما وقوع طوائف منها فهذا مما دلت عليه النصوص، وأفضلية الأمة لا يلزم منها عدم وقوع بعض أفرادها في الشرك.

([154]) أخرجه الحاكم (394) وغيره، وصححه الألباني في بداية السول (70).
([155]) صححه الالباني في صحيح الجامع (6318).
([156]) أخرجه مسلم (2812).

ـ الثاني: أنه قد وردت نصوص تدل على أن هذه الأمة تحذو حذو من سبقها، كحديث:" لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَن قَبْلَكُمْ شِبْرًا بشِبْرٍ، وَذِرَاعًا بذِرَاعٍ، حتَّى لو سَلَكُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَسَلَكْتُمُوهُ"[157] ففيها دلالة على وقوع بعض طوائف هذه الأمة فيما وقع فيه من سبقها من محدثات وشركيات.

ـ الثالث: ووردت نصوص أخرى تدل على أن طوائف من هذه الأمة سوف تلحق بالمشركين وتعبد الأوثان، قال النبي ﷺ: " وستَعبدُ قبائلُ مِن أُمَّتي الأوثانَ وستَلحَقُ قبائلُ من أُمَّتي بالمشركينِ"[158] .

ـ الرابع: ووردت نصوص تدل على تغير الزمان قبل قيام الساعة، وانتشار الفتن والمنكرات، قال النبي ﷺ: " يكونُ في آخرِ الزمانِ فِتَنٌ كقِطَعِ اللَّيلِ المظلِمِ، يُصبِحُ الرجلُ مؤمنًا ويمسي كافرًا، ويُمسي مؤمنًا ويُصبِحُ كافرًا"[159] ونصوص ذود المحدثين عن حوض النبي ﷺ، ففي الحديث: "لَيَرِدُ عَلَيَّ أقْوامٌ أعْرِفُهُمْ ويَعْرِفُونِي، ثُمَّ يُحالُ بَيْنِي وبيْنَهُمْ" .... قالَ: "إنَّهُمْ مِنِّي، فيُقالُ: إنَّكَ لا تَدْرِي ما بَدَّلُوا بَعْدَكَ، فأقُولُ: سُحْقًا سُحْقًا لِمَن بَدَّلَ بَعْدِي"[160]

ـ الخامس: كما أن التاريخ يحكي لنا وقوع الشرك والكفر من بعض طوائف هذه الأمة، كارتداد الناس بعد موت النبي ﷺ.

ـ السادس: وكذلك ما فائدة أحكام الردة في قوم لا يقع منهم الكفر والشرك!!؟

ـ السابع: أن المراد من حديث أن الشيطان قد أيس أن يعبد في جزيرة العرب:

هو أنه يئس في ذلك الزمن أن يرتد المؤمنون عن دينهم كما قال تعالى: "الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كفروا مِن دِينِكُمْ"، والشيطان لا يعلم الغيب وأنهم سيرتدون بعد النبي ﷺ.

وقيل بل المراد أنه يئس أن تعود جزيرة العرب إلى شركها الأول بانتشاره قبل بعث النبي ﷺ .

وقيل المراد أنه يئس أن يجتمعوا على الكفر والشرك.

([157]) رواه البخاري (3456).
([158]) صححه الألباني في صحيح ابن ماجه (3207).
([159]) الإيمان لابن أبي شيبة (83)، صححه الألباني.
([160]) رواه البخاري (7050).

- يستدلون على جواز الاستغاثة بالأموات بنصوص سماع الأموات، كحديث: " إِنَّهُمْ لَيَسْمَعُونَ ما أَقُولُ"[161]: والرد عليهم من وجوه:

ـ الأول: وردت نصوص بمنع اتخاذ القبور مساجد تقصد للصلاة والدعاء كما تقدم، فلا يلزم من سماع الأموات جواز دعائهم أو قدرتهم على الإجابة.

ـ الثاني: أن أصل مسألة سماع الأموات فيها خلاف بين العلماء، فليست محل اتفاق.

ـ الثالث: ثم إذا صح الاستدلال بسماع الأموات على جواز الاستغاثة بهم، لكان ذلك عاما في كل ميت.

- يستدلون بذبح النبي ﷺ عن نفسه وعن أهل بيته وعن أمته ـ أي شبهة إهداء الثواب للميت ـ بجواز الذبح لغير الله: والرد عليهم من وجهين:

ـ الأول: ليس ما ينكره أهل السنة والجماعة هو النذر أو الذبح لله وإهداء الثواب للميت، بل ينكرون من يصرف نذره وذبحه لغير الله تعالى، والفرق بين من يذبح للميت، وقلبه معلق به، وبين من يهدي الثواب للميت متقربا إلى الله، واضح.

ـ الثاني: قولهم إهداء الثواب للميت لا يطابق واقع الحال، بل يشتمل فعلهم على الرغبة والرجاء أن يكون ذلك الذبح سببا في حصول مطلوبهم، وهذا ظاهر أنه ليس بغرض إهداء الثواب للميت.

- يستدلون بحصول المطلوب واندفاع الأذى بالتمائم على جواز تعليقها: والرد عليهم من وجوه:

ـ الأول: أن الدين لا يؤخذ بالتجارب وإنما بالأدلة الشرعية.

ـ الثاني: أن حصول المطلوب قد يكون بسبب تلاعب الشيطان.

ـ الثالث: أن حصول المطلوب قد يوافق قدرا ذلك التعليق.

ـ الرابع: أنه لا يلزم من تحقق الغاية مشروعية الوسيلة، فإن الله قد يجري الشفاء على يد الساحر، ولا يدل ذلك على مشروعية السحر.

([161]) رواه البخاري (3978).

- يقولون وإن كانت الشفاعة لله فقد أعطاها عباده الصالحين، فنحن نسألهم مما أعطاهم الله: والرد عليهم أن نقول:

ـ لسنا ننكر ثبوت الشفاعة، وإنما ننكر سؤالها من غير الله، من ميت غائب لا يسمع ولا يقدر على الإجابة، فلا دليل يدل على مشروعية سؤالها من أهل القبور.

- يستدلون بقصة أصحاب الكهف في قوله تعالى: "قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا" على جواز اتخاذ المساجد على القبور: والرد عليهم من وجهين:

ـ الأول: اختلف المفسرون في قائلها أهم المسلمون أم الكفار مع أن الظاهر أنهم أهل السلطان، والمحكم المعلوم في اتخاذ القبور على المساجد ما ورد من النهي في السنة، فلا يُرد المحكم بالمتشابه.

ـ الثاني: لا يلزم من عدم تعقيب الله عزوجل على مقولتهم إقرارهم عليها، إذ هو من باب تأخير البيان عن وقت الحاجة، إذ أن حكم ذلك ظاهر بالنصوص الأخرى، كما في قوله تعالى: "فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا".

4ـ قوادح في توحيد الألوهية:

أ ـ سوء الظن بالله:

قال ابن عثيمين رحمه الله: "الظن بالله عز وجل على نوعين: الأول: أن يظن بالله خيرا، الثاني: أن يظن بالله شرا:

والأول له متعلقان:

1- متعلق بالنسبة لما يفعله في هذا الكون; فهذا يجب عليك أن تحسن الظن بالله عز وجل فيما يفعله -سبحانه وتعالى- في هذا الكون، وأن تعتقد أن ما فعله إنما هو لحكمة بالغة، قد تصل العقول إليها وقد لا تصل، وبهذا تتبين عظمة الله وحكمته في تقديره; فلا يظن أن الله إذا فعل شيئا في الكون فعله لإرادة سيئة، حتى الحوادث والنكبات لم يحدثها الله لإرادة السوء المتعلق بفعله، أما المتعلق بغيره بأن يحدث ما يريد به أن يسوء هذا الغير; فهذا واقع; كما قال تعالى: {قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءاً أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً} .

2- متعلق بالنسبة لما يفعله بك; فهذا يجب أن تظن بالله أحسن الظن، لكن بشرط أن يوجد لديك السبب الذي يوجب الظن الحسن، وهو أن تعبد الله على مقتضى شريعته مع الإخلاص، فإذا فعلت ذلك; فعليك أن تظن أن الله يقبل منك، ولا تسيء الظن بالله بأن تعتقد أنه لن يقبل منك، وكذلك إذا تاب الإنسان من الذنب; فيحسن الظن بالله أنه يقبل منه، ولا يسيء الظن بالله بأن يعتقد أنه لا يقبل منه. وأما إن كان الإنسان مفرطا في الواجبات فاعلا للمحرمات، وظن بالله ظنا حسنا; فهذا هو ظن المتهاون المتهالك في الأماني الباطلة، بل هو من سوء الظن بالله; إذ إن حكمة الله تأبى مثل ذلك.

النوع الثاني: وهو أن يظن بالله سوء، مثل أن يظن في فعله سفها أو ظلما أو نحو ذلك; فإنه من أعظم المحرمات وأقبح الذنوب، كما ظن هؤلاء المنافقون وغيرهم ممن يظن بالله غير الحق

.... وخلاصة ما ذكر ابن القيم في تفسير ظن السوء ثلاثة أمور:

الأول: أن يظن أن الله يديل الباطل على الحق إدالة مستقرة يضمحل معها الحق; فهذا هو ظن المشركين والمنافقين في سورة الفتح، قال تعالى: {بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَداً} .

الثاني: أن ينكر أن يكون ما جرى بقضاء الله وقدره; لأنه يتضمن أن يكون في ملكه سبحانه ما لا يريد، مع أن كل ما يكون في ملكه فهو بإرادته.

الثالث: أن ينكر أن يكون قدره لحكمة بالغة يستحق عليه الحمد; لأن هذا يتضمن أن تكون تقديراته لعبا وسفها، ونحن نعلم علم اليقين أن الله لا يقدر شيئا أو يشرعه إلا لحكمة، قد تكون معلومة لنا وقد تقصر عقولنا عن إدراكها، ولهذا يختلف الناس في علل الأحكام الشرعية اختلافا كبيرا بحسب ما عندهم من معرفة حكمة الله -سبحانه وتعالى-"[162]

ب ـ الحلف بغير الله:

قال الشيخ الحافظ الحكمي: "وَمِنَ الشِّرْكِ الْأَصْغَرِ الَّذِي لَا يُخْرِجُ مِنَ الْمِلَّةِ ... الْحَلِفُ "بِغَيْرِ الْبَارِي" كَالْحَلِفِ بِالْآبَاءِ وَالْأُمَّهَاتِ وَالْأَبْنَاءِ وَالْأَمَانَةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ"[163] ، وقال ابن عثيمين: "والحلف بغير الله

([162]) القول المفيد (2/282،283، 289).

([163]) معارج القبول (2/495).

شرك أكبر؛ إن اعتقد أن المحلوف به مساو لله تعالى في التعظيم والعظمة، وإلا فهو شرك أصغر"[164]

إقسام الله بمخلوقاته:

قال ابن عثيمين رحمه الله: "وأما قوله تعالى: {وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا}، وقوله: {لا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ}، وقوله: {وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى}، وما أشبه ذلك، من المخلوقات التي أقسم الله بها; فالجواب عنه من وجهين:

الأول: أن هذا من فعل الله، والله لا يُسْأَل عما يفعل، وله أن يقسم سبحانه بما شاء من خلقه، وهو سائل غير مسئول، وحاكم غير محكوم عليه.

الثاني: أن قسم الله بهذه الآيات؛ دليل على عظمته، وكمال قدرته وحكمته; فيكون القسم بها الدال على تعظيمها ورفع شأنها؛ متضمنا للثناء على الله عز وجل، بما تقتضيه من الدلالة على عظمته"[165]

قوله ﷺ: "أفلح وأبيه إن صدق"[166]

قال ابن عثيمين رحمه الله: "فالجواب عنه من وجوه:

الأول: أن بعض العلماء أنكر هذه اللفظة، وقال: إنها لم تثبت في الحديث، لأنها مناقضة للتوحيد، وما كان كذلك; فلا تصح نسبته إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيكون باطلا.

الثاني: أنها تصحيف من الرواة، والأصل: "أفلح والله إن صدق"، وكانوا في السابق لا يشكلون الكلمات، و "أبيه" تشبه، "الله" إذا حذفت النقط السفلى.

الثالث: أن هذا مما يجري على الألسنة بغير قصد، وقد قال تعالى: {لا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الأَيْمَانَ}، وهذا لم ينو فلا يؤاخذ.

الرابع: أنه وقع من النبي ﷺ، وهو أبعد الناس عن الشرك، فيكون من خصائصه، وأما غيره، فهم منهيون عنه لأنهم لا يساوون النبي ﷺ في الإخلاص والتوحيد.

([164]) القول المفيد (214/2).
([165]) نفس المصدر السابق.
([166]) رواه مسلم (40/1).

الخامس: أنه على حذف مضاف، والتقدير: "أفلح ورب أبيه".

السادس: أن هذا منسوخ، وأن النهي هو الناقل من الأصل، وهذا أقرب الوجوه."[167]

ج ـ الشرك في الألفاظ:

فمنه إشراك غير الله مع الله بالواو في المشيئة والتدبير، ونسبة الفضل لغير الله بـ (لولا)، وكلها يشملها أثر ابن عباس رضي الله، قال الله عزوجل: "فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَاداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ"، قال ابن عباس في الآية: "الأنداد هو الشرك، أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء في ظلمة الليل، وهو أن تقول: والله، وحياتك يا فلان، وحياتي، وتقول: لولا كليبة هذا; لأتانا اللصوص، ولولا البط في الدار; لأتى اللصوص، وقول الرجل لصاحبه: ما شاء الله وشئت، وقول الرجل: لولا الله وفلان; لا تجعل فيها فلانا، هذا كله به شرك"[168]

قال ابن عثيمين رحمه الله: "

وقوله: "والله وحياتك": فيها نوعان من الشرك، لأول: الحلف بغير الله، الثاني: الإشراك مع الله بقوله: والله! وحياتك! فضمها إلى الله بالواو المقتضية للتسوية؛ فيه نوع من الشرك.

والقسم بغير الله إن اعتقد الحالف أن المقسم به بمنزلة الله في العظمة; فهو شرك أكبر، وإلا; فهو شرك أصغر.

وقوله: "وحياتي": فيه حلف بغير الله; فهو شرك.

وقوله: "لولا كليبة هذا لأتانا اللصوص": كليبة تصغير كلب، والكلب ينتفع به للصيد وحراسة الماشية، والحرث.

وقوله: "لولا كليبة هذا" يكون فيه شرك إذا نظر إلى السبب دون المسبِّب، وهو الله عز وجل أما الاعتماد على السبب الشرعي، أو الحسي المعلوم; فقد تقدم أنه لا بأس به، وأن النبي ﷺ قال: " لولا أنا; لكان في الدرك الأسفل من النار "، لكن قد يقع في قلب الإنسان إذا قال: لولا كذا لحصل كذا أو ما كان كذا، قد يقع في قلبه شيء من الشرك؛ بالاعتماد على السبب بدون نظر إلى المسبب، وهو الله عز وجل.

([167]) القول المفيد (222/2).

([168]) أخرجه ابن أبي حاتم في ((التفسير)) (229).

وقوله: "لولا البط في الدار لأتى اللصوص": البط طائر معروف، وإذا دخل اللص البيت وفيه بط، فإنه يصرخ، فينتبه أهل البيت ثم يجتنبه اللصوص.

وقوله: "وقول الرجل لصاحبه: ما شاء الله وشئت": فيه شرك; لأنه شرك غير الله مع الله بالواو، فإن اعتقد أنه يساوي الله عز وجل في التدبير والمشيئة; فهو شرك أكبر، وإن لم يعتقد ذلك واعتقد أن الله - سبحانه وتعالى - فوق كل شيء; فهو شرك أصغر، وكذلك قوله: "لولا الله وفلان".

وقوله: "هذا كله به شرك": المشار إليه ما سبق، وهو شرك أكبر أو أصغر حسب ما يكون في قلب الشخص من نوع هذا التشريك[169] .

د- الشرك في النيات والمقاصد:

ومن ذلك إرادة الإنسان بعمله الدنيا، والرياء وغيرهما.

أ- إرادة الإنسان بعمله الدنيا:

قال تعالى: "مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ"، قال ابن عباس رضي الله عنه: "من عمل صالحًا التماس الدنيا، صومًا أو صلاةً أو تهجدًا بالليل، لا يعمله إلا لالتماس الدنيا، يقول الله: أوفيه الذي التمس في الدنيا من المثابة، وحبط عمله الذي كان يعملُ التماس الدنيا، وهو في الآخرة من الخاسرين"[170]

ما حكم إرادة الإنسان بعمله الدنيا[171]:

الجواب: الأحوال في هذا الباب ليست على نمط واحد، بل فيها تفصيل:

وقبل ذكر أحوال ذلك مع العبادة، لابد أن نستصحب أصلا محكما في الشريعة، وهو أن الإخلاص هو أساس قبول العمل الصالح، فالقبول وعدمه متعلق بوجود الإخلاص وعدمه، قال تعالى: "وما أمروا...."، وقال النبي ﷺ: "إنما الأعمال ...."، وأحوال تشريك النيتين كما يأتي:

الحالة الأولى: قصد ما هو من ضرورات العمل:

([169]) القول المفيد (211/2).

([170]) رواه ابن جرير في تفسيره

([171]) انظر شرح كتاب التوحيد لصالح السندي.

أي أنه حاصل قُصِد أو لم يُقصد، كأن يتوضأ يريد العبادة والتنظف أو التبرد، أو يصوم ويقصد العبادة والحمية وتخفيف الوزن، فمثل هذا لا ضرر فيه، لأنه حاصل شاء أم أبى، وأما قول ابن حزم أن نية التبرد مع الوضوء تبطله فضعيف.

ـ لكن الأولى أن يقصد الإنسان نية التعبد وحدها فذلك أفضل، فإن أشرك معها ما هو من ضرورات العمل فلا يحبط عمله.

الحالة الثانية: قصد ما أذن الشرع في قصده تصريحا أو تلميحا:

أي إذا أذنت الشريعة في قصد شيء دنيوي في العمل الصالح فإن هذا لا يؤثر، مثل ذلك قصد الحج لنيل رضا الله ومع ذلك إرادة التجارة، قال تعالى: "ليس عليكم جناح... "، ومن ذلك قول النبي ﷺ: "من قتل قتيلا فله سلبه"، فمن ضرورة ذلك أن يقصد الصحابة هذا الأمر، بل ما قاله إلا ليحفزهم به على الجد في الجهاد.

الحالة الثالثة: قصد أمر دنيوي لم يأذن الشرع في قصده:

أي يقصد في عمله الصالح شيئا من الدنيا لم تأذن به الشريعة، مثلا أن يحج ويتكسب بحجه وليس في أثناءه، كأن يحج عن غيره وقصده أن يأخذ أجرة على فعله ذلك وليس قصده الاستعانة بذلك المال على بلوغ الحج، وكأن يطلب العلم الشرعي وقصده نيل الشهادة لرفع مستواه وليس للاستعانة بها في الدعوة إلى الله، فهذه النية مؤثرة في العمل بحسب دخولها فيه، إما أن تحبطه وإما تنقصه، لأن الإخلاص شرط القبول كما تقدم، قال النبي ﷺ: "واتخذ مؤذنا لا يأخذ على أذانه أجرا"، وقال: "اقرؤوا القرآن، ولا تغلوا فيه، ولا تجفوا عنه، ولا تأكلوا به، ولا تتكاثروا به"، وقال: "من تعلم علما مما يبتغى به وجه الله لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضا من الدنيا لم يرح رائحة الجنة".

الحالة الرابعة: أن يقصد نيل شيء من الدنيا ليكون وسيلة لأداء العمل الصالح:

وهذا مخرج لمن كانت الحالة الثالثة شأنه، فلا يحتاج المسلم معه إلا أن يصحح نيته، ففرق بين اتخاذ الدين وسيلة إلى الدنيا كما في الحالة الثالثة، وبين اتخاذ الدنيا وسيلة إلى الدين كما في هذه الحالة، كمن توظف إماما وقبض أجرة وأخذ مسكنا للاستعانة بذلك على إتقان إمامته والإتيان بها على أكمل وجه بالتفرغ لها، ومنها كما قاله ابن تيمية: "والمشروع أن يأخذ الإنسان ليحج، لا أن يحج ليأخذ"، وعلى ذلك فقس.

ب - الرياء:

قال تعالى عن المنافقين: "يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا"، وقال النبي ﷺ: " إِنَّ أَخْوَفَ ما أخافُ عليكم الشِّركُ الأصْغَرُ، قالوا: وما الشِّركُ الأصْغَرُ يا رسولَ اللهِ؟ قال: الرِّياءُ"[172]

تعريفه: مصدر راءى يرائي; أي: عمل عملا ليراه الناس، ويقال مراءاة كما يقال: جاهد جهادا ومجاهدة، ويدخل في ذلك من عمل العمل ليسمعه الناس ويقال له مسمع[173]

حكمه: الرياء من الشرك الأصغر; لأن الإنسان قصد بعبادته غير الله، وقد يصل إلى الأكبر، وقد مثل ابن القيم للشرك الأصغر; فقال: "مثل يسير الرياء"، وهذا يدل على أن الرياء الكثير قد يصل إلى الأكبر.

حالات ليست من الرياء: [174]

وليس من الرياء أن يفرح الإنسان بعلم الناس بعبادته; لأن هذا إنما طرأ بعد الفراغ من العبادة.

وليس من الرياء أيضا أن يفرح الإنسان بفعل الطاعة في نفسه، بل ذلك دليل على إيمانه

سؤال: ما حكم عبادة المرائي؟

الجواب: قال ابن عثيمين رحمه الله: "في حكم العبادة إذا خالطها الرياء، وهو على ثلاثة أوجه:

الأول: أن يكون الباعث على العبادة مراءاة الناس من الأصل، كمن قام يصلي من أجل مراءاة الناس ولم يقصد وجه الله; فهذا شرك والعبادة باطلة.

الثاني: أن يكون مشاركا للعبادة في أثنائها، بمعنى أن يكون الحامل له في أول أمره الإخلاص لله ثم يطرأ الرياء في أثناء العبادة.

فإن كانت العبادة لا ينبني آخرها على أولها; فأولها صحيح بكل حال، والباطل آخرها. مثال ذلك: رجل عنده مئة ريال قد أعدها للصدقة فتصدق بخمسين مخلصا وراءى في الخمسين الباقية; فالأولى حكمها صحيح، والثانية باطلة.

([172]) أخرجه أحمد (23630).
([173]) القول المفيد (124/2).
([174]) نفس المصدر.

أما إذا كانت العبادة ينبني آخرها على أولها; فهي على حالين:

أ- أن يدافع الرياء ولا يسكن إليه، بل يعرض عنه ويكرهه; فإنه لا يؤثر عليه شيئا، مثال ذلك: رجل قام يصلي ركعتين مخلصا لله، وفي الركعة الثانية أحس بالرياء، فصار يدافعه; فإن ذلك لا يضره ولا يؤثر على صلاته شيئا.

ب- أن يطمئن إلى هذا الرياء ولا يدافعه; فحينئذ تبطل جميع العبادة; لأن آخرها مبني على أولها ومرتبط به. مثال ذلك: رجل قام يصلي ركعتين مخلصا لله، وفي الركعة الثانية طرأ عليه الرياء لإحساسه بشخص ينظر إليه، فاطمأن لذلك ونزع إليه; فتبطل صلاته كلها لارتباط بعضها ببعض.

الثالث: ما يطرأ بعد انتهاء العبادة; فإنه لا يؤثر عليها شيئا، اللهم إلا أن يكون فيه عدوان; كالمن والأذى بالصدقة، فإن هذا العدوان يكون إثمه مقابلا لأجر الصدقة فيبطلها; لقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى}"[175]

ج ـ سب الدهر:

قال تعالى: "وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ"، قال الطبري في تفسيره: "وذُكر أن هذه الآية نـزلت من أجل أن أهل الشرك كانوا يقولون: الذي يهلكنا ويفنينا الدهر والزمان، ثم يسبون ما يفنيهم ويهلكهم، وهم يرون أنهم يسبون بذلك الدهر والزمان"، وقال النبي ﷺ: "قالَ اللَّهُ عزَّ وجلَّ: يُؤْذِينِي ابنُ آدَمَ؛ يقولُ: يا خَيْبَةَ الدَّهْرِ! فلا يَقُولَنَّ أحَدُكُمْ: يا خَيْبَةَ الدَّهْرِ؛ فإنِّي أنا الدَّهْرُ، أُقَلِّبُ لَيْلَهُ ونَهارَهُ، فإذا شِئْتُ قَبَضْتُهُما"[176]

قال ابن عثيمين رحمه الله: "أي فإن الله هو مدبر الدهر ومصرفه، وهذا تعليل للنهي"

وقال: "قوله: " يؤذيني ابن آدم ": أي: يلحق بي الأذى; فالأذية لله ثابتة ويجب علينا إثباتها; لأن الله أثبتها لنفسه، فلسنا أعلم من الله بالله، ولكنها ليست كأذية المخلوق; بدليل قوله تعالى: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ}"[177]

([175]) القول المفيد (125/2).
([176]) رواه مسلم (2246).
([177]) القول المفيد (240/2).

وقال أيضا: "لا يلزم من الأذية الضرر; فالإنسان يتأذى بسماع القبيح أو مشاهدته، ولكنه لا يتضرر بذلك، ويتأذى بالرائحة الكريهة كالبصل والثوم ولا يتضرر بذلك، ولهذا أثبت الله الأذية في القرآن، قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً مُهِيناً}"[178]

أقسام سب الدهر وحكمها:

قال ابن عثيمين: "وسب الدهر ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

الأول: أن يقصد الخبر المحض دون اللوم; فهذا جائز، مثل أن يقول: تعبنا من شدة حر هذا اليوم أو برده، وما أشبه ذلك; لأن الأعمال بالنيات، ومثل هذا اللفظ صالح لمجرد الخبر، ومنه قول لوط عليه الصلاة والسلام: {هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ}.

الثاني: أن يسب الدهر على أنه هو الفاعل، كأن يعتقد بسبه الدهر أن الدهر هو الذي يقلب الأمور إلى الخير والشر، فهذا شرك أكبر لأنه اعتقد أن مع الله خالقا; لأنه نسب الحوادث إلى غير الله، وكل من اعتقد أن مع الله خالقا; فهو كافر، كما أن من اعتقد أن مع الله إلها يستحق أن يعبد; فإنه كافر.

الثالث: أن يسب الدهر لا لاعتقاده أنه هو الفاعل، بل يعتقد أن الله هو الفاعل، لكن يسبه لأنه محل لهذا الأمر المكروه عنده; فهذا محرم، ولا يصل إلى درجة الشرك، وهو من السفه في العقل والضلال في الدين; لأن حقيقة سبه تعود إلى الله - سبحانه -; لأن الله تعالى هو الذي يصرف الدهر، ويُكَوِّن فيه ما أراد من خير أو شر، فليس الدهر فاعلا، وليس هذا السب يُكَفِّر; لأنه لم يسب الله تعالى مباشرة"[179]

سؤال: هل الدهر من أسماء الله الحسنى؟

الجواب: قال ابن عثيمين رحمه الله: "والدهر اسم من أسماء الزمن ليس فيه معنى إلا أنه اسم زمن، وعلى هذا; فينتفي أن يكون اسما لله تعالى لوجهين:

الأول: أن سياق الحديث يأباه غاية الإباء.

([178]) نفس المصدر.

([179]) القول المفيد (240/2).

الثاني: أن أسماء الله حسنى، والدهر اسم جامد، لا يحمل معنى إلا أنه اسم للأوقات، فلا يحمل المعنى الذي يوصف بأنه أحسن، وحينئذ فليس من أسماء الله تعالى، بل إنه الزمن، ولكن مقلب الزمن هو الله، ولهذا قال: "أقلب الليل والنهار""[180]

د ـ قول (لو):

قال تعالى: "يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا"، وقال النبي ﷺ: "وإن أصابَك شيءٌ فلا تقلْ : لو أني فعلتُ لكانَ كذا وكذا ، ولكن قلْ قدَّرَ اللهُ وما شاءَ فعلَ فإن لو تفتحُ عملَ الشيطانِ"[181]

قال ابن عثيمين رحمه الله: "فمن خالفه القدر ولم يأت على مطلوبه، لا يخلو من حالين:

الأولى: أن يقول: لو لم أفعل ما حصل كذا.

الثانية: أن يقول: لو فعلت كذا، لأمر لم يفعله لكان كذا.

مثال الأول قول القائل: لو لم أسافر ما فاتني الربح.

ومثال الثاني أن يقول: لو سافرت لربحت.

وذكر النبي ﷺ الثاني دون الأول; لأن هذا الإنسان عامل فاعل; فهو يقول: لو أني فعلت الفعل الفلاني دون هذا الفعل لحصلت مطلوبي، بخلاف الإنسان الذي لم يفعل، وكان موقفه سلبيا من الأعمال"[182]

وقال أيضا: "وعمله: ما يلقيه في قلب الإنسان من الحسرة والندم والحزن; فإن الشيطان يحب ذلك، قال تعالى: {إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئاً إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ}"[183]

استعمالات (لو) وأحكامها:

قال ابن عثيمين رحمه الله: ""لو" تستعمل على عدة أوجه:

([180]) نفس المصدر (246/2).
([181]) أخرجه مسلم (2664).
([182]) القول المفيد (371/2).
([183]) نفس المصدر (ص372).

الوجه الأول: أن تستعمل في الاعتراض على الشرع، وهذا محرم، قال الله تعالى: {لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا}، في غزوة أحد حينما تخلف أثناء الطريق عبد الله بن أبي في نحو ثلث الجيش، فلما استشهد من المسلمين سبعون رجلا اعترض المنافقون على تشريع الرسول ﷺ، وقالوا: لو أطاعونا ورجعوا كما رجعنا ما قتلوا، فرأينا خير من شرع محمد، وهذا محرم وقد يصل إلى الكفر.

الثاني: أن تستعمل في الاعتراض على القدر، وهذا محرم أيضا، قال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزّىً لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا}، أي: لو أنهم بقوا ما قتلوا; فهم يعترضون على قدر الله.

الثالث: أن تستعمل للندم والتحسر، وهذا محرم أيضا; لأن كل شيء يفتح الندم عليك فإنه منهي عنه; لأن الندم يكسب النفس حزنا وانقباضا، والله يريد منا أن نكون في انشراح وانبساط، قال ﷺ: "احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء، فلا تقل: لو أني فعلت كذا لكان كذا، فإن لو تفتح عمل الشيطان ".

مثال ذلك: رجل حرص أن يشتري شيئا يظن أن فيه ربحا فخسر، فقال: لو أني ما اشتريته ما حصل لي خسارة; فهذا ندم وتحسر، ويقع كثيرا، وقد نهي عنه.

الرابع: أن تستعمل في الاحتجاج بالقدر على المعصية; كقول المشركين: {لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا}، وقولهم: {لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ}، وهذا باطل.

الخامس: أن تستعمل في التمني، وحكمه حسب المتمني: إن كان خيرا فخير، وإن كان شرا فشر، وفي "الصحيح" عن النبي ﷺ في قصة النفر الأربعة قال أحدهم: " لو أن لي مالا لعملت بعمل فلان"، فهذا تمنى خيرا، وقال الثاني: "لو أن لي مالا لعملت بعمل فلان"، فهذا تمنى شرا. فقال النبي ﷺ في الأول: " فهو بنيته، فأجرهما سواء "، وقال في الثاني: " فهو بنيته، فوزرهما سواء ".

السادس: أن تستعمل في الخبر المحض، وهذا جائز، مثل: لو حضرت الدرس لاستفدت، ومنه قوله ﷺ: " لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما سقت الهدي ولأحللت معكم "، فأخبر النبي ﷺ أنه لو علم أن هذا الأمر سيكون من الصحابة ما ساق الهدي ولأحل، وهذا هو الظاهر لي"[184]

5- مخالفات معاصرة:

([184]) القول المفيد (371/2).

ـ الطاقة الكونية الفلسفية[185]:

تعريفها:

فلسفة الطاقة منظومة من العقائد والطقوس مستقاة من فلسفات وثنية باطنية شرقية، عمادها اعتقاد الحلول ووحدة الوجود وتأليه الانسان، تدعي السعي في تحقيق التوازن الطاقي للنفس والوحدة مع الروح الكامنة في هذا الكون أو ما يسمونه بالمطلق، ولها تطبيقات متعددة تتعلق بالاستشفاء او جلب السعادة أو جذب الآمال أو غير ذلك، ويندرج تحتها جملة من الممارسات والقوانين كالريكي وقانون الجذب وفلسفة الشاكرات واليوجا والكارما وغيرها.

انتشارها:

أصل هذه الفلسفات هو الشرق من الصين والهند، ثم وجدت لها رواجا في الغرب نتيجة المادية الطاغية، والجفاف الروحي الذي هم تحت وطأته، فتهافتوا عليها، ثم تسللت هذه العلوم الزائفة الى العالم الاسلامي وأقبل عليها شبابنا مع أننا مستغنون عنها بعقيدتنا والحمد لله.

سبب انتشارها في العالم الإسلامي:

انتشرت بسبب التقليد للغرب، والتلبيس الكبير، والفضول، واللافتات البراقة كالتنمية البشرية وتطوير الذات وتحقيق السعادة وحصول الشفاء وجلب الثراء، مع إعطاء شهادات وألقاب مغرية كمدرب معتمد.

وسائل انتشارها:

هي خمس رئيسية: عقد الدورات، وتأليف الكتب، وإقامة المحاضرات، وتقديم الاستشارات، والنشر في وسائل التواصل.

ويستخدم ناشروها المصطلحات العلمية في غير محلها، ويزيفون التجارب العلمية، ولا يوضحون ما عندهم في أول وهلة، وإنما تنكشف الحقائق في المستويات المتقدمة.

محاذيرها الشرعية:

([185]) محاضرة بعنوان: فلسفة الطاقة، حقيقة أم خيال، للشيخ صالح السندي. باختصار.

أـ تأليه الإنسان: فهم يأصلون لتأليه الانسان إما بلفظ صريح أو بلفظ غير مباشر، بانين ذلك على أن الإنسان فيه شذرة من الإله، وأنه المتصرف في أقداره المشكل لها، فالإنسان بزعمهم سيد نفسه ومصيره فيعظمون الذات البشرية حتى كأنهم يتحدثون عن خالق الكون، ومن أقوالهم في ذلك قول أحدهم: " يجب ان نكتشف بأنفسنا أن في داخلنا إلها"، وقول آخر: "أنت صاحب قدرة مطلقة وحكمة ليس لها حدود، وذكاء لا نهائي، لديك إمكانات الله على خلق عالمك"، وهذا كفر صريح.

ب ـ الاتحاد والحلول ووحدة الوجود: فهم يقولون أن الله ـ تعالى عما يقولونـ يحل هو أو يحل شيء منه في مخلوقاته أو يتحد الخالق والمخلوق فيكونان شيئا واحدا أو أن الله تعالى هو كل شيء في الوجود اصلا، وهذه هي عقيدة الطاوية والهند والبوذية والكونفوشيوسية، فجميع طرائق الاستشفاء بها من الريكي والبرانة والتشيكونج والتاي شي والفونج شوي وغيرها، هي في زعمهم طاقة منبثقة عن الكلي الواحد، وهذه الطاقة عندهم هي الإله أو جزء منه تحل في مخلوقاته، ويزعمون أنهم بحلول هذه الطاقة فيهم يعالجون الأمراض ويصلون إلى علم المعارف الكونية والمسائل الغيبية والعياذ بالله.

ج ـ الشرك في الربوبية والألوهية: باعتقاده أنه هو أو عقله الباطن أو الطاقة والطبيعة يشاركون الله عزوجل في الخلق أو التدبير، فيقولون أن العقل الباطن هو المنفذ لجميع الطلبات، وما عليك إلا أن ترسل إليه الأوامر وهو ينفذها، تعالى الله عما يقولون.

دـ إقصاء الإيمان بالقدر: فما الحاجة عندهم إلى القدر إذا كانوا يتحكمون في الوجود، فيعتقدون أن ما يحصل في حياة الإنسان هو نتيجة اعتقاده أو ما ينويه، كما يقول أحدهم: "قدرك هو صنع يدك، أنت تصنع القدر، أنت الذي يحدد قدره ومصيره"، وهذا كفر صريح.

هـ ـ تضعف تعلق القلب بالله توكلا ومحبة ورجاء وخوفا: بل ربما تجرد القلب من حقائق العبودية بالتدريج حتى يقع في الكفر، باعتقاده استغناءه عن ربه.

وـ تداول تمائم عصرية: يستجلبون بها الطاقة الكونية، من أجل الرزق والسعادة والعافية بزعمهم، كأحجار كريمة تجلب السعادة، ورموز بوذية وهندوسية ومجسمات تجذب الشريك، وأقراص معدنية تجلب الغنى، وأساور وقلائد تطرد الطاقة السلبية، كما يزعمون، وكلها من التمائم الشركية المنهي عنها.

زـ وانحرافات أخرى: تتعلق بالملائكة والغيب واليوم الآخر والروح واتخاذ الأسباب وغيرها.

تنبيه: إن ما يُطرح في بلاد المسلمين من هذه الفلسفات هو نفسه ما يطرحه الكفار، إلا أنهم يستعملون ـ تقية ـ مصطلحات إسلامية، محاولة منهم لإضافة لمسة دينية عليها، حتى يستسيغها المسلمون، ثم إنهم لا ينكرون ما فيها من كفريات وشركيات، بل يمدحون أربابها الكفار وينصحون بقراءة كتبهم، ويكفي أن ما يطرح بين المسلمين أصله مزيج من شركيات لم تقع حتى من أبي جهل وأبي لهب.

شبهات حول هذه الفلسفات والرد عليها:

- قد يُقال: إن كلامهم يحتمل الصحة، فالمقام اجتهادي: والرد عليهم من ثلاث وجوه:

ـ الأول: أن كل ما يعلمونه من فلسفات لم يقم عليه دليل البتة، بل هو مصادم للعلم، فما من جامعة معتبرة ولا فيزيائيين ولا أطباء أقروا بفلسفات الطاقة هذه، فمن أين يأتي الاحتمال؟!!

ـ الثاني: أي مجال للاجتهاد فيما يناقض الإسلام، والمخالفات الشرعية المتقدمة كلها كفر بالله ومحادة للإسلام.

ـ الثالث: أن أقوالهم هم أنفسهم تخالف أفعالهم، فمثلا يطبعون كتبهم ويبيعونها ويأكلون أموال الناس بالباطل، فلم لا يستخدمون قانون الجذب عندهم لجذب الأموال، ويجعلون كتبهم مجانية، أو لم لا يحلون مشاكل العالم من الفقر والمجاعات، فما هم إلا مجموعة من الكذابين المحتالين، الذين يلعبون بالناس التي تسعى لحل مشاكلها والخروج من أزماتها وتحقيق السعادة.

- قد يُقال: هذه الدورات يقدمها دكاترة متخصصون حاملون لشهادات عليا: والرد عليهم أن نقول:

ـ لا وجود لجامعة معتمدة تقر هذه الفلسفات وتمنح الشهادات عليها، فشهاداتهم دائرة بين الشراء والتزوير وعدم الاعتماد، أو أنها في تخصص آخر غير هذا الذي نحن بصدده، ثم فرضا أنهم متخصصون في المجال، فما كل ما يقوله المتخصص حق يقبل، وقد تقدمت المخالفات الشرعية لهذه الفلسفات، فأنى تعارض دين الله بأقوال المتخصصين.

- قد يُقال: أن الناس جربوا بعض ما يطرحه هؤلاء فانتفعوا بها: والرد عليهم من وجهين:

ـ الأول: أن هذا ليس استدلالا علميا صحيحا، فقد يكون الانتفاع حصل بسبب آخر، أو وافق قدر الله تعالى، فمثلهم كمثل قرية رأوا جملا لأول مرة، فأصابهم مرض، فظنوا أن رؤية الجمل سبب لهذا المرض، فكذلك من مارس ذلك وشعر براحة أو نشاط.

ـ الثاني: الراحة التي يشعرون بها ليست بسبب تلك العقائد والطقوس، وإنما لها أسباب حقيقية، كالجلوس في مكان هادئ والتأمل في خلق الله تعالى، لكنه خلط بكذب جم وضلال كثير، فهو حسنة صغيرة وسط غمام من الباطل.

ـ قانون الجذب

يزعم أصحابه أن كلَّ شيءٍ يحدث في حياتك فأنت من قمت بجذبه إلى حياتك، وقد انجذب إليك عن طريق الصور التي احتفظت بها في عقلك، أي ما تفكر فيه، فأياً كان الشيءُ الذي يدور بعقلك فإنك تجذبه إليك، فهو دعوة إلى ترك العمل، والإعراض عن تحصيل الأسباب لنيل المطلوب، والاتكال على الأماني والأحلام، بل يزعمون القدرة على الإيجاد والخلق، فكل ما يقع بالإنسان من خير وشر فهو من خلقِه وإيجاده، ففيه الدعوة إلى التعلق بالكون رغبة وسؤالاً وطلباً، فإذا أردت شيئاً فما عليك إلا أن تتوجه بطلبك للكون.

ـ بلورات وأحجار الطاقة والشفاء

هي عبارة عن أحجار مثل المرو والعقيق الأحمر والزبرجد وأحيانا تكون قطعا من الكريستال يستخدمها بعض الناس لطلب الشفاء والعافية من الأمراض النفسية والبدنية، لاعتقادهم أن فيها قوى خارقة تؤثر في تقوية الجسم والقلب وجلب الراحة النفسية ودفع القلق والتوتر والكآبة وغيرها عن الإنسان.

ومعلوم أن كل ما لم يثبت نفعه بالشرع أو العادة والحس والتجربة فلا يجوز استخدامه في العلاج والتداوي، يقول الشيخ ابن عثيمين – رحمه الله – في بيان الأسباب التي يجوز استعمالها للتداوي: "والأسباب التي جعلها الله تعالى أسباباً نوعان:

النوع الأول : أسباب شرعية كالقرآن الكريم ، والدعاء , كما قال النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - في سورة الفاتحة: (وما يدريك أنها رقية) ، وكما كان النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يرقي المرضى بالدعاء لهم فيشفي الله تعالى بدعائه من أراد شفاءه به.

النوع الثاني : أسباب حسية كالأدوية المادية المعلومة عن طريق الشرع كالعسل ، أو عن طريق

التجارب مثل كثير من الأدوية , وهذا النوع لابد أن يكون تأثيره عن طريق المباشرة لا عن طريق الوهم والخيال ، فإذا ثبت تأثيره بطريق مباشر محسوس صحَّ أن يتخذ دواء يحصل به الشفاء بإذن الله تعالى ، أما إذا كان مجرد أوهام وخيالات يتوهمها المريض فتحصل له الراحة النفسية بناء على ذلك الوهم والخيال ويهون عليه المرض , وربما ينبسط السرور النفسي على المرض فيزول ، فهذا لا يجوز الاعتماد عليه ولا إثبات كونه دواء ؛ لئلا ينساب الإنسان وراء الأوهام والخيالات ، ولهذا نُهي عن لبس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع المرض أو دفعه ، لأن ذلك ليس سبباً شرعيًّا ولا حسيًّا، وما لم يثبت كونه سبباً شرعيًّا ولا حسيًّا لم يجز أن يجعل سبباً؛ لأن جعله سبباً نوع من منازعة الله تعالى في ملكه وإشراك به حيث شارك الله تعالى في وضع الأسباب لمسبباتها "[186]

- اليوجا

رياضة روحية وبدنية، ويراد منها ابتداء الفناء، والاتصال بالله تعالى، أصل هذه الرياضة هي من العقيدة الوثنية الهندوسية، ثم البوذية، ويعرفونها بالوحدة، أي اتحاد الإنسان مع الروح! وهي الروح الكونية، ويعنون بها " الله "، فيكفي أصلها لتحريمها فلا يجوز ممارستها ولو خلت من عقائدها.

- التأبير (الوخز بالإبر):

وهو أيضا يعتمد على فلسفة الطاقة الكونية، ولا يقوم على أسس علمية صحيحة، بل على مبادئ غيبية فلسفية، وأما النتائج الإيجابية الفردية فلا تكفي في إثبات التأثير.

- الريكي:

يعتمد كذلك على وجود الطاقة الكونية، والجسم الأثيري المحيط بالجسم المادي، والمرض عنده سببه الانفصال عن الإله، وعلاجه الاتصال به.

- نظام الماكروبيوتيك:

كما سبق ماخوذة من الفلسفات الطاوية والإغريقية، تعتقد بكلي واحد فاضت عنه الموجودات، تقوم فلسفتها على جوانب روحية، فيزعمون أن الشموع تجلب الحب، وأن حجر الكهرمان يجلب الثقة بالنفس وغيرها، وكل ذلك من الشرك.

- الجرافولوجي:

([186]) مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (70/17).

أداة للتكهن ومعرفة غيب الشخص عبر طرق ووسائل منها خط الشخص وطريقته وتوقيعه بمؤشرات أو قرائن: كسرعته أو بطئه في الكتابة، مع ربطها بالحروف وأسرارها على اعتبار أن الحروف لها خصائص مؤثره في الكون والحياة مرتبطة بالنجوم والكواكب، وهذا لا إثبات عليه، بل من التكهن والتخرص.

ـ الهونا:

وهو برنامج تعريفي وأصله معتقد أهل جزر الهاوي بأمريكا الشمالية، وهو قائم على الكفر بالله وممارسة السحر والطقوس الشركية، وتم تغيرها بما يمكن لرواجها، كتنمية القدرة العقلية في التأثير في المادة، والقدرة على تحريك الأشياء عن بعد بالنظر المغناطيسي، ومجالاتها متنوعة.

ـ فونغ شوي:

تهدف كما يزعمون إلى طرد الطاقة الشريرة واستجلاب الخيرة، ولها علاقة بالتنجيم، وهي من طرق الاستشفاء.

ـ وصلى الله على نبينا محمد ـ

* *